الفنون

مجلة ادبية تصدر مرة في كل شهر

رئيس تحريرها
نسيب عريضة

مدير اشغالها
راغب متراج

قيمة الاشتراك = خمسة ريالات اميركية لسنة . وثلاثة ريالات عن نصف سنة . والدفع سلفاً .

AL-FUNOON
72 TRINITY PLACE
NEW YORK

الجزء الثالث   تشرين الاول ١٩١٧   السنة الثالثة

ماذا يقولون في الفنون

طالعت مجلة الفنون فراقت لي مواضيعها واساليبها . وهزّت فيّ عاطفة غريبة تدفعني من اعماق قلبي الى ان اقول كلمة فيها وان كنت قاصراً عن وفائها حقها . ولا سيما عندما ادرك ما يضحيه كتّابها الادباء من الاوقات والاتعاب لاصلاح حالتنا الاجتماعية . وحسبي انني فرد من الذين يقرون بفضل هوءلاء الكرام . اقول هذا لانه لا مهرب لي من صوت ضميري الذي يدفعني الى اعطاء كل ذي فضل حقه من العاملين في سبيل العلم والاصلاح

الميرا — نيويورك — يوسف سماك

اثني الثناء العاطر عَلَى نشاطكم ووفرة ادبكم الظاهرة في تبويب المجلة تبويباً حسناً وانتقاء المواضيع الراقية المفيدة التي تنشرونها وبكل سرور اقول انها المجلة الوحيدة في العالم العربي التي تمثل لنا الارتقاء الادبي والعلمي. اسأل لمجلتكم الزاهرة التقدم والنجاح فنحن باشد الحاجة اليها والى اقوالها ورسومها الجميلة .

نجيب قسطنطين الحداد

سان باولو — البرازيل — صاحب جريدة الموءدب

كنت جالسة في بيتي الصغير المشاد عَلَى رابية القرية الحقيرة في ولاية سان باولو واذا ببريد الصباح ينقل اليّ ثلاثة اعداد من مجلة « الفنون » التي تصدر في نيويورك مرسلة من صاحب الموءدب الفاضل لمطالعتها .

تركت عملي واخذت اقلب صفحات هذه المجلة بعد انعام النظر في كل محتوياتها فلم اتمالك رغماً عن قصوري في فن الكتابة عن ارسال كلمة صغيرة بشأن هذه المجلة الراقية .

قلت كلمة صغيرة لانني ارى ذاتي قصيرة الباع في ايفاء هذه المجلة الزاهرة حقها من التقريظ والوصف . وهل لكاتبة صغيرة مثلي البلاغه التي تحواها اقوال المجلة المذكورة لاقوم بوصفها بذات البلاغة التي يتحلى بها جيدها الحسن .

ولكن العاطفة الشريفة والواجب الادبي والمروءة العربية التي تغلي في صدري منذ عرفت لهذا الوجود من معنى هي التي حملتني عَلَى ارسال هذه السطور اعجاباً بمجلة الفنون الراقية فاقول —

« الفنون » هي فنون الاداب السورية العالية المقتبسة عن العلوم الغربية السامية . تبث في قومنا روحاً جديدة من بلاغة الانشاء وفصاحة التعبير وجمال الخيال ومهارة التصوير والرسوم الفائقة حد الاتقان لاشهر وامهر المصورين الغابرين والحديثين

مجلة الفنون تدخل الى مخدع الفتاة فتنير عقلها بمأثورات الحكم التي ينشرها اكبر كتبة العرب في الغرب واقربهم لمساً لقلوب القراء بما يسطرونه من الشعر الخيالي المتضمن عَلَى الحقيقة المجيدة والمستنزف من ادمغتهم التي اعادت الى العرب مجد ذكاءهم ونشاطهم وعلومهم

وتدخل الى مكتب الرجل فيقرأ فيها كل ما يحب للمرء المفتكر مطالعته

من روايات ادبية ومقالات شائقة ومقاطع شعرية تخلب اللب وتبسط النفس

قرأت عدد الفنون الخصوصي لجياع سوريا فجعلني بكل ما فيّ من القوة ان انتقل بالروح والخيال الى موطن ابائي واجدادي فاذرف الدموع واجود بالنفس لو استطعت لذلك سبيلاً . وقرأت غير العدد المذكور فحبب اليّ الكتابة وافهمني بان الحياة في هذا الوجود لا تقوم فقط بحشد الاموال وتبذيرها بل هناك ما هو اسمى من ذلك . هناك النفس السامية التي لا تغتذي بالاموال وحشدها بل بالاداب المنشورة التي يطالعها الانسان فينتعش فؤاده لمطالعتها فيشعر بان الحياة مهما تفلسف الفلاسفة في وصفها لا تكون ذات قيمة ان لم تكن مفعمة من المطالعة والقراءة لكل جليل مفيد . اذ ما الفرق بين الحيوان الاعجم والانسان الناطق زينة المخلوقات عَلَى الارض

مجلة الفنون يجب ان تتناولها كل الايادي السورية ويشترك بها كل صاحب مقدرة . فهي المجلة التي بكل فخر اقول انها ارقى الموجود في كل جرائدنا ومجلاتنا في المهجر

سعدى صعب

كلما تناولت عدداً من الفنون أجده أجمل مما سبق .

مانشستر نيوهمشر — فضل الله الحريسي

الفنون — أجمل مجلة عربية وقع نظري عليها حتى الان . ادامكم الله لرفع شأن الامة السورية وترقية الروح الوطنية

او كلاهوما ستي — اوكلاهوما — حفيظ شديد

احسبني من المعجبين بفنونكم وفي جملة مناصريها .

وايندين كلف — وست فرجينيا — احمد ذيب الباقوني

اني اطالع الفنون لانها مجلة ادبية راقية سارت عَلَى خطة ولم تغيرها . فهي لم تزل تنشر المنتخب من ادب الافرنج والعرب . واطالعها لانها بعيدة عن التحزب للبنان وسوريا وروسيا وانطاكية وسواها من التحزبات الطائفية والبلدية والعائلية الى آخر ما هنالك من الاسباب التي جعلتنا ان نتناسى ابطالنا وعلماءنا واذكياءنا وشهداءنا ... اولئك الذين تدلت جثثهم من حبال المشانق ظلماً وعدواناً في سبيل سعادة كل فرد من ابناء سوريا . فوالله ستحاسب ارواحهم اولئك ... من إصحاب الصحف الذين قتلوا نهضتنا الوطنية . اطالع الفنون لانها لا تمثل حزباً سياسياً سورياً او لبنانياً . وطيه ارسل اليكم بدل الاشتراك ... هذا المبلغ الذي لا يذكر اليوم واجب عليّ دفعه لمناصرة نفسي واتكرم به عَلَى نفسي واكسب ثناء نفسي واساعد به نفسي .

رزق الله الياس

باترسن نيوجرزي — كيلون

اخذت العددين الاول والثاني من الفنون بعد عودتي من غيابي وابتدأت اطالعهما بكل رغبة لعلمي ان كل كلمة من الفنون تغذي العقل كألوف المجلدات من غيرها لما عهدت بها في الماضي من الفوائد . فوجدت الفنون كالوردة في فصل الربيع كلما مرّ عليها يوم منه فتحت ازرارها وتضوعت رائحتها الزكية وتضاعفت جودتها وتكاثر الذين يلذ لهم قطفها والتمتع

بربيعها الدائم الذي هو ملك الفصول كما انها ملكة المجلات بمقالاتها الزاهرة التي لا تُقلد ·

يوسف جرجس

فارل — بنسلفانيا   مغيَّر

نغتنم الفرصة لاشعاركم باعجابنا الزائد بخطتكم في المجلة وثنائنا عَلَى ما تبذلونه في انتقاء المواضيع المفيدة فان « الفنون » اليوم هي موضع اعجاب العموم وارتياحهم ·

بوينس ايرس — الارجنتين   مخائيل اورفلي واخوانه

الفنون تسر كل من يطالع اعدادها

روم — نيويورك   جورج روكس سمعان

ارجو منكم ان تعدوني مشتركاً طول العمر

كولومبيا   قبلان كبا

حازت الاكثرية في التصويت الشهري لعدد آب مقالة « البنفسجة الطموحة » لجبران خليل جبران

★ ★ ★ ★ ★

الادارة تعتذر الى القراء لتأخرها في مجاوبة الرسائل الكثيرة المستعلمة عن تأخر صدور الفنون · وتنبئهم انها باذلة الجهد في تلافي التأخير المسبب عن امور مطبعية · وستصدر الفنون في اوقاتها ان شاء الله في المستقبل القريب

الزيتون في كاليفورنيا

ذوقوا واحكموا

ليس من ينكر كثرة الصعوبات التي نصادفها من جراء الحرب الاوربية بانقطاع المواد الغذائية السورية عن هذه البلاد الاميركية · ولما كنا قد اعتدنا في السابق ان نحصل عَلَى كل اصناف السمانة العربية من سوريا لم نعد نبالي بالاهتمام لايجادها هنا مع ما كنا نتحمله من الصعوبات والمصارفات في مسألة الشحن · عَلَى انه وقد حالت الظروف في هذه الايام دون الحصول عَلَى متمنياتنا وسدَّت الطرق من كل جانب في وجوهنا فتوهم ابناء الوطن ان لا لذة تعادل لذة الواردات الوطنية وجدنا غب الامتحانات والاهتمامات التي نجريها دائماً وحباً براحة وخدمة عملائنا الكرام طريقاً لارضائهم فقد ذهب احدنا الى كاليفورنيا حيث اهتمَّ بضمانة كروم الزيتون هناك وصرنا نستورده الى محلنا الخاص فنخرج من انواعه زيتوناً اسود ومرصوصاً بزعتر ومن كان في شك فما عليه الا التجربة كما وانه عندنا جميع انواع السمانة السورية وسائر المشروبات الروحية وهذا عنواننا ·

T. K. MALOUF & CO.

79 WASHINGTON ST., NEW YORK, N. Y.

الى تجار اميركا الجنوبية

— محل ميخائيل عريضه في نيويورك —

قد وسع دائرة اشغاله المعروفة واصبح يتعاطى تصدير البضائع الاميركية من جميع اصنافها الى سائر الانحاء

وهو مستعد

أن يقوم بخدمة كل المحال التجارية السورية في اميركا الجنوبية والوسطى وجزائرها استعداداً يرضي اصحاب البيوت الكبيرة والصغيرة التجارية

مقدرة هذا المحل المالية ،

وخبرته بالسوق الحالية ،

ومعرفته الاصناف المرغوبة ،

وتسوقه البضائع من معاملها رأساً ،

جعلته ان يحوز ثقة كثير من المحال التجارية الكبرى في اميركا الجنوبية في وقت قصير

فاكتب اليه

مستعلماً — أو مستشيراً — أو طالباً — أو مجرباً ·

ولك الخيار بعد ذلك ان تعامله او تعامل سواه

MICHAEL N. ARIDA

118 W. 22nd Street New York

ملوك اخوان

الى اصدقائهم وعملائهم

النجاح بالتحسين وليس بالبقاء عَلَى حالة واحدة.

نحن نسعى بالتحسين في كل يوم وفي كل معمل من معاملنا . موءسس ورئيس هذا المحل احدنا سليم ملوك الذي اخترع ورسم جميع الرسمات المتداولة اليوم بين ايدي المواطنين من مديرا وكلوني وفيله وفنيس وغيرها لا يألو جهداً في استنباط الاصناف والرسمات الجديدة البديعة التي سيظهر اكثرها قريباً في عالم التجارة .

في مديرا

في ايطاليا

في فرنسا

وفي غيرها من اقطار العالم عيون ساهرة وعقول واعية لخدمة المصلحة وخدمتكم .

فلا تهملوا صالحكم باغفالكم هذه الامور بل داوموا مخابرتنا او زيارتنا كي لا تفوتكم الفرص السانحة ومن يعش يرى المحل الرئيسي

MALLOUK BROTHERS

47-49 WEST STREET

NEW YORK

حديث وجيز

أأنت من مدخني السيكارات ؟

اذا أجبت « بنعم » فهاك سوءالاً آخر .

مـا هو النوع الذي تدخنه ؟ — وقبل ان نسمع جوابك نسألك ان تسمح لنا ان نقول

اذا كنت تدخن السيكارات البرصونية فلا حاجة لشرحنا لك عنها ، وان كنت تدخن غيرها فجربها وقابل بينها وبين سواها

السيكارات البرصونية مصنوعة من التبغ التركي الخالي من الغش

انها من اقدم واشهر انواع السيكارات المعروفة ، ومدخنوها يشهدون لها بجودة وسلاسة طعم دخانها .

وانك تحصل عليها متى شئت فاطلبها تجدها لديك حالاً .

A. N Barson & Co.

40 West Street New York

حافظ عَلَى صحتك لكي تطول ايام حياتك آية من الوصايا الشعرة

من جربنا عرفنا ومن لم يجربنا فليسأل عنا ويرى صدق قولنا

سنت	ريال	خالص اجرة البريد
٢٥	٠	الشربة العجيبة اقوى من زيت الخروع
٣٥	٠	جبوب الحياة للدكتور فنديك لازالة وجع الراس والدوخة وامساك الباطنة
٢٥	٥	حبوب للقوة المنحلة ولتقوية الاجسام الضعيفة
٢٥	٢	شربة لقطع الدودة الوحيدة
٣٥	٠	مزيج سائل لازالة الشعر من الجسم
٦٥	٠	صبغة شعر سوداء خالية من حجر جهنم
٣٥	٠	بودرة لعرق الرجلين
٢٥	٢	دواء لانماء الشعر وتقويته ولازالة القشرة من الراس
٦٥	٠	دواء لازالة النمش والكلف من الوجه
٦٥	٠	دواء لمنع شرب الدخان
٠٠	١	ماء زهر اصلي مكفول

« صيدلية شركة فلسطين »

BALESTINE DRUG CO.

28 Rector St. NewYork

ايسترن دراي كودس كمباني

يتاجون

باصناف الدراي كودس والملبوسات وجميع البضائع الرائجة

دعائم هذا المحل التجاري الموءسس منذ سنوات هي —

الاستقامة في المعاملة

ارضاء الزبائن وتلبيتهم

الذوق في اختيار البضائع الجديدة الرائجة

الخبرة في العمل والمسواق

كل هذه تكفل لزبائن المحل مما يعود عليهم بالربح والنجاح ويضمن لهم الراحة في التجارة اذا اتكلوا عليه في طلب ما يلزمهم من البضائع ولا شك في ان الكلام وحده لا يقنع كالتجربة · فجرّب بطلبية واحدة يتضح لك الامر · ولدى الامتحان يكرم المرء او يهان

Eastern Dry Goods Co.

1103 Fifth Avenue

Pittsburgh, Pa

STATEMENT OF THE OWNERSHIP, MANAGEMENT, CIRCULATION, ETC., REQUIRED BY THE ACT OF CONGRESS OF AUGUST 24, 1912,

of AL-FUNOON Published Monthly at New York, N. Y. STATE OF New York, COUNTY OF New York, for Oct. 1, 1917.

Before me, a Notary Public in and for the State and county, aforesaid personally appeared Nasseeb Arida who, having been duly sworn according to law, deposes and says that he is the editor of the Al-Funoon and that the following is, to the best of his knowledge and belief, a true Statement of the ownership, management (and if a daily paper, the circulation), etc., of the aforesaid publication for the date shown in the above caption, required by the Act of August 24, 1912, embodied in section 443, Postal Laws and Regulations, printed on the reverse of this form, to wit:

1. That the names and addresses of the publisher, editor, managing editor and business managers are:

Publisher	Al-Funoon Publishing Co. 72 Trinity Place	New York, N. Y.
Editor	NASSEEB ARIDA 72 Trinity Place	New York, N. Y.
Managing Editor	NASSEEB ARIDA 72 Trinity Place	New York, N. Y.
Buisness Managers	RAGEB MITRAGE 72 Trinity Place	New York, N. Y.

2. That the owners are: (Give names and addresses of individual owners, or, if a corporation, give its name and the names and addresses of stockholders owning or holding 1 per cent or more of the total amount of stock).

Nasseeb Arida	72 Trinity Place	New York, N. Y.
Rageb Mitrage,	72 Trinity Place	New York, N. Y.

3. That the known bondholders, and mortgagees, and security holders owning or holding 1 per cent or more of total amount of bonds, mortgages, or other securities are: (If there are none so state) None

4. That the two paragraphs next above, giving the names of the owners, stockholders, and security holders, if any, contain not only the list of stockholders and security holders as they appear upon the books of the company but also, in cases where the stockholder or security holder appears upon the books of the company as trustee or in any other fiduciary relation, he name of the person or corporation for whom such trustee is acting, is given; also that the said two paragraphs contain statements embracing affiant's full knowledge and belief as to the circumstances and conditions under which stockholders and security holders who don't appear upon the books of the company as trustees, hold stock and securities in a capacity other than that of a bona fide owner; and this affiant has no reason to believe that any other person, association, or corporation has any interest direct or indirect in the said stock, bonds, or other securities than as so stated by him.

(SIGNED) NASSEEB ARIDA,

Sworn to and subscribed before me this 29th day of September 1917

(Signed) GEO. MABARAK,
Notary Public
Kings County Reg. No. 8090
New York County Reg. No. 8238
(Seal) New York County Clerk's No. 264
Commission expires March 30th 1918

محتويات الجزء

١٦١	الذكرى	لثيودور دي بانفيل
١٦٣	موشحات جديدة ـ	لجبران خليل جبران
١٦٧	الناس كالناس ...	
١٦٩	من أجل المرض والمصابين والمسببين... (شعر)	لمخائيل نعيمه
١٧١	بالامس واليوم وغداً	لجبران خليل جبران
١٧٢	الارض .	لجبران خليل جبران
١٧٣	جدول الدمع (شعر)	لسميرة عطية
١٧٥	منتخبات من افكار الفيلسوف الافرنسي ديدرو	
١٧٧	مذكرات الارقش	لمخائيل نعيمه
١٨٧	معلومات عن ابن سينا	
١٩١	ابن سينا وقصيدته	لجبران خليل جبران
١٩٣	الاخلاق	لامين الريحاني
٢٢٩	طرائف عربية	
٢٣٨	فكاهات	
	رواية جلال الدين	

الصور المطبوعة على حدة

الى النور — حكاية — ابن سينا



الى النور — للمصور فاليرو



الذكرى

لثيودور دي بانفيل

★ ★ ★ ★ ★

هو وهي — نفسان ، بل نوران ، بل روحان مغبوطان خالدان ، يدعيان كليميس وثورو سارا يتنزهان في رياض الجنان النقية يتمشيان بخطى منظمة موزونة وقد تغيرا بقوة الجمال العظيم ، وتجليا في شكل ظريف لطيف ، واتحدا اتحاداً متيناً لا تُفصم عراه ، وعطف كلٌّ عَلَى صاحبه فجمعهما عناق مستمر لذيذ ·

فاجتازا المدن الالماسية الباهرة ، وغابة البنفسج الباسقة ، وقطعا النهر الهادىء الذي يعادل عرض مجراه سعة عشرين محيطاً ، ثم ضفته التي نبتت عليها شجرة واحدة من شجر الورد وقد بسطت اغصانها المثقلة بالازاهر ظلالاً واسعة عَلَى المياه الغامرة ·

وما لبثا ان جُذبا بلطف انغام موسيقى صامتة ساحرة وبشذا طيوب زكية منتشرة · فدخلا مخرفاً واسعاً يستطيعان منه معاينة اسراب النجوم

والابراج السابحة في الاثير اللانهائي ·

فقال كليميس — انظري يا حبيبتي ! تطلعي الى تلك الشرارة الصغيرة البعيدة الوامضة الضئيلة البصيص · هي الارض · ألا تذكرين انّا عشنا عليها مرة في ما مضى من الزمان · أجل ، هنالك قبل حلول ساعة الانتصار المقدسة بالوف الوف الاجيال — قبل ان حلت هذه الساعة وغمرتنا بالبركة فأرتنا في منتهى بهجة النور المتألق الممزوج بالحبور ما لا يُعبر عنه حتى بالكلمات العلوية — قبل ان تجددنا وتشددنا ولبسنا الشباب من جديد بعد ان قطنّا النجوم والسيارات العديدة — قبل ان جعلتنا قوة الحب المتبادل الدائمة متساوين متشابهين حتى صارت هيئتي تعكس هيئتك كالمرآة وعجزت الملائكة عن تمييز افكارنا عن النور المتألق من شعورنا — هنالك قبل هذا كله بزمان مديد كنا نحيا في تلك النقطة القصية المبهمة · واني لا ازال اذكر إنّا كنا هنالك نعرف شيئاً يُدعى الالم · ولكني الان مهما حاولت لا استطيع ان أتذكر ما هو ذلك الشيء ·



موشحات جديدة

لجبران خليل جبران

★★★★★

البحر

في سكون الليل لما تنثني　　يقظة الانسان من خلف الحجاب
يصرخ الغاب — انا العزم الذي　　انبتته الشمس من قلب التراب
غير ان البحر يبقى ساكتاً
قائلاً في نفسه — العزم لي

ويقول الصخر ان الدهر قد　　شادني رمزاً الى يوم الحساب
غير ان البحر يبقى صامتاً
قائلاً في نفسه — الرمز لي

ويقول الريح — ما اغربني　　فاصلاً بين سديمٍ وسما
غير ان البحر يبقى ساكتاً
قائلاً في نفسه — الريح لي

ويقول النهر — ما اعذبني　　مشرباً يروي من الارض الظما
غير ان البحر يبقى صامتاً

قائلاً في ذاته — النهر لي

ويقول الطود — اني قائم   ما اقام النجم في صدر الفلك
غير ان البحر يبقى هادئاً
قائلاً في نفسه — الطود لي

ويقول الفكر — اني ملك   ليس في العالم غيري من ملك
غير ان البحر يبقى هاجعاً
قائلاً في نومه — الكل لي

الشحرور

ايها الشحرور غرّد   فالغنا سرّ الوجود
ليتني مثلك حرّ   من سجون وقيود
ليتني مثلك روحاً   في فضا الوادي أطير
أشرب النور مداماً   في كؤوس من أثير
ليتني مثلك طهراً   واقتناعاً ورضى
معرضاً عما سيأتي   غافلاً عما مضى
ليتني مثلك ظرفاً   وجمالاً وبها
تبسط الريح جناحي   كي يوشّيه الندى
ليتني مثلك فكراً   سابحاً فوق الهضاب

اسكب الانغام عفواً   بين غاب وسحاب
ايها الشحرور غنّ   واصرف الاشجان عني
ان في صوتك صوتاً   نافخاً في اذن اذني

الجبّار الرئبال

في ظلام الليل يمشي مبطئاً   وهو مثل الليل هولاً قد بدا
وحده يمشي كأن الارض لم   تبر إلاه عظيماً سيدا
ويدوس الترب مرفوعاً كما   تلمس الاطلال اطراف السحاب
فكأن الجسم في اثوابه   من شعاع وسديم وضباب
قلت—يا طيفاً يعيق الليل في   سيره ، هل انت جنّ ام بشر ؟
قال مغتاظاً وفي ألفاظه   رنة الهزء — انا ظل القدر
قلت—لا ياطيف قد مات القضا   يوم ضمتني ذراع القابله
قال محتاراً—انا الحب الذي   لا ينال العيش الا نائله
قلت—لا فالحب زهر لا يعيش   بعد ان تذبل ازهار الربيع
قال غضباناً وفي لهجته   ضجة البحر — انا الموت المريع
قلت—لا فالموت صبح ان اتى   أيقظ النائم من غفلته

قال —مختالاً انا المجد فمن   لم ينلني مات في علته
قلت— لا فالموت ظل ينثني   مضمحلاً بين لحدٍ وكفن
قال مرتاباً — انا السر الذي   يتهادى بين روحٍ وبدن
قلت—لا فالسر ان باحت به   يقظة الفكر تولى كالمنام
قال ملتاعاً — كفى تسألني   من انا · قلت—أفي السوءل ملام ؟
قال محجوباً— انا انت فلا   تسألنّ الارض عني والسما
فاذا ما شئت ان تعرفني   فارقب المرآة صبحاً ومسا
قال هذا واختفى عن ناظري   مثلما الدخان تذريه الرياح
تاركاً ما بي من الفكر يهيم   بين أشباح الدجى حتى الصباح

الشهرة

كتبتُ في الجزر سطراً   علَى الرملِ
أودعته كلّ روحي   مع العقلِ
وعدت في المدِ أقرا   وأستجلي
فلم أجد في الشواطي   سوى جهلي

جبران خليل جبران

الناس كالناس ...

*****

مرّ مسافر عند الظهيرة بدرويش صالح يتفيأ في ظلال نخلات قرب عين ماء في الصحْراء · فعكف عليه يجاذبه اطراف الحديث بينا تستريح دوابه من وعثاء الطريق ثم سأله

— هل لك ايها الرجل الصالح ان تخبرني عن سكان تلك المدينة الزاهرة المنبسطة في السهل أمامنا — من أي الناس هم أخلاقاً ؟

فقال له الدرويش

— وما عهدك بالناس الذين نزحت عنهم ؟

فقال المسافر

— قوم شرٍ وحمق · بلاياهم كثيرة ونفعهم قليل ·

فقال الدرويش

— وان الناس في هذه المدينة لكذلك !

· · · · · ·

فودع المسافر وسار · ولما اوشكت الشمس ان تغرب اذا بمسافر آخر متعبٍ يقود مطيته الى حيث كان الدرويش جالساً مستغرقاً في تأملاته ·

فلما بصر به أقبل عليه وسلم ثم سأله قائلاً

– هل لك ايها الرجل الصالح ان تخبرني عن سكان تلك المدينة ذات الابراج الشاهقة امامنا – من أي الناس هم ؟

فوجم الشيخ ثم قال

– وما عهدك بالقوم الذين فارقتهم وكيف صفاتهم ؟

فقال المسافر

– انهم لقوم خير وحزم وعزم · كثر رشادهم وقلّ ضلالهم ·

فقال الدرويش الحكيم

– وان الناس في هذه المدينة لكذلك ·



ان هذه القلوب تمل كما تمل الابدان فابتغوا لها طرائف الحكم

لا خير في الصمت عن الحكم كما انه لا خير في القول بالجهل

(علي بن ابي طالب)

ليس لكل شوكة وردة

المفكر المتعمق لا يضيع وقته بالكلام



من أجل المرضى والمصابين والمسبيين...

لمخائيل نعيمه

* * * * *

غرّنا الدمع · وكم خلنا الدموع ان همت تطفىء في القلب اللهيب !
وانتحبنا علّ ما بين الضلوع من جوى يهدا – فلم يُجدِ النحيب
فلنصلِ ايها القلب الكئيب ···

كم قرعنا باب عدلٍ طالبين شبه انصافٍ فلم نلقَ نصير !
كم شكونا فارتددنا خائبين واستجرنا دونَ ان نلفي مجير !
فلنصلِ ايها القلب الكسير ···

قد صبرنا واعتصمنا بالثبات · واحتملنا الجور بالصمت الطويل
غير ان الصبر قد عيل ومات ودوام الصمت لم يشفِ الغليل
فلنصلِ ايها القلب العليل ···

عند ما قمنا · وصحنا — « الانتقام !   ولنكافح علَّ دنيانا تروق »
لم نجد عزماً لتجريد الحسام   فنبذنا ما علينا من حقوق
فلنصلِ ايها القلب الخفوق ...

خاننا الدمع ولم يجدِ السكوت   لا ولم يبقَ رجاء بالنجاة
كتب الموت لنا ان لا نموت   وتغاضت عن شكاوينا الحياة
فلنصلِ ربما تجدي الصلاة ...

بين جوعٍ وشقاء ووباء   في البراري والفيافي والسجون
قد قضوا فاستوطنوا دار البقاء   وبقينا نحن في دار الشجون
فلنصلِ ايها القلب المحزون ...

ميخائيل نعيمه





بالامس ، واليوم ، وغداً ...

لجبران خليل جبران

*****

قلت لصديقي — ألا فانظرها متكئة عَلَى ساعده · وبالامس كانت عَلَى ساعدي

فقال — وغداً عَلَى ساعدي ·

قلت — تأملها جالسة الى جانبه ، وبالامس كانت الى جانبي

فقال — وغداً الى جانبي ·

قلت — ألا تبصرها تشرب الخمر من كأسه ، وبالامس كانت ترشفها من كأسي ·

فقال — وغداً من كأسي ·

قلت — انظر اليها ترمقه بعين ملوءها الحب ، وبالامس كانت ترمقني

فقال — وغداً ترمقني ·

قلت — اسمعها تهمس اغاني الغرام في اذنه ، وبالامس كانت تهمسها في اذني ·

فقال — وغداً في اذني ·

قلت — انظر فهي تعانقه وقد كانت بالامس تعانقني

فقال — وغداً تعانقني ·

قلت — ما اغربها امرأة ·

قال — هي كالحياة يمتلكها كل البشر · وكالموت تتغلب عَلَى كل البشر وكالابدية تضم كل البشر ·

الارض

لجبران خليل جبران

تنبثق الارض من الارض كرهاً وقسراً ·

ثم تسير الارض فوق الارض تيهاً وكبراً ·

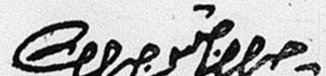
وتقيم الارض من الارض القصور والبروج والهياكل

وتنشىء الارض في الارض الاساطير والتعاليم والشرائع

ثم تمل الارض اعمال الارض فتحوك من هالات الارض الاشباح والاوهام والاحلام

ثم يراود نعاس الارض اجفان الارض فتنام نوماً هادئاً عميقاً ابدياً

ثم تنادي الارض قائلة للارض — انا الرحم وانا القبر · وسابقى رحماً وقبراً حتى تضمحل الكواكب وتتحول الشمس الى رماد





جدول الدمع

* * * * *

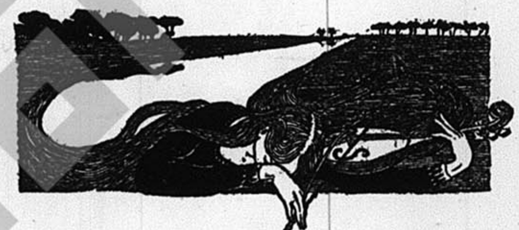
يا جدول الدمع ، لو تصفو ليالينا   ما كنت تجري غزيراً من مآقينا
اين الليالي التي كان الغدير بها   يصفي فيضحك مما كان يبكينا
فكم جلسنا عَلَى حصبائه وسرى   لطف النسيم من الوادي يحيينا
عطرٌ شذاه وفعل الراح فعلته   من الزهور بروح الروض يأتينا
والبدر ما فوقنا حلٌ المحاق به   وقد علاه اصفرارٌ كالمجينا
والليل قد نام والاحياء راقدةٌ   والحب لا غيره مستيقظ فينا
يا جدول الدمع ، ما هذا الحنين الى   نجوى الاحبة او ذكرى تلاقينا
وكم لصوت أنين الماء من شجن   يا ايها الماء ، قف يكفيك تلحينا
اني لاسمع من وسط الغدير صدى   الحان حبٍ شجي من اغانينا
يكفيك انشاد لحنٍ كان عن طرب   والان اضحى لميتِ الحب تأبينا
ساد الظلام ونهر الارجوان جرى   وصاح فينا غراب الموت يدعونا
واسودت الارض بالويلات وانتحبت   منا العرائس والاطفال يبكونا
يبكون قتلى اصيبوا بعدما احتملوا   جوعاً وعرياً · وقد كانوا يحبونا

يا جدول امزج دموعي بالدماء ومن ... صدري الانين بالحان المغنينا
ويا فؤادي الذي أودى الشقاء به ... اين العزاء وقد حلّ البلا فينا

. .

وانت يا ايها البدر المنير علَى ... هذي الرياض من الاعلى تناجينا
مهلاً حذارك من يومٍ يزول به ... هذا الضياء كما زالت امانينا
ويا زهوراً زهت في الروض آمنة ... يأتيك يوم به في الروض تذوينا
فالدهر ليس بمبقٍ غدره أحداً ... يعكر العمرَ يوماً ان صفا حينا

سميره عطيه



الناس ينتقدون الاشتراكية كما يفهمونها لا كما هي أو كما لا يجب ان تكون — شأنهم في أكثر المسائل الاجتماعية

مقاومة عدو يعترف بفضلي أحب اليّ من اشفاق يأتيني من اهلي

الانسان لم يكذب الا لانهم عاقبوه علَى الصدق ، ولم يسرق الا لانهم حجبوا عنه ما يحتاج اليه

ما أحلى الاماني لولا انها خيال شاعر . وما امر الحقيقة لولا انها السبيل الى الرشاد .

(شبلي شميل)

منتخبات من افكار الفيلسوف الافرنسي ديدرو

*****

الاعمال العظيمة كالنقود الذهبية الثمينة التي قلّ ما تتداولها الايدي . اما بعض الاعمال الحقيرة فهي كالدراهم الصغيرة أكثر رواجاً وتداولاً وتناقلاً بين الناس .

. . . . .

ألا تظنون ان حقارة الاشياء أو بعدها عنا قد تقلل من حنونا وعطفنا عليها ؟ مثلاً — نحن نشفق علَى الفرس اذ نراه يتألم ، ولكننا لا نشعر بشفقة حين نسحق أحدى النملات .

. . . . .

قلّ ما نذكر من معارفنا بين الناس شخصاً واحداً هو — نفسنا

. . . . .

الكفر بالله لم يُهدد قط كيان الانسانية

. . . . .

سأظل كل حياتي جاهلاً ما لست أعرفه ، ولكن ذلك لا يجعلني اسوأ مما انا . ولماذا ينبغي ان آسف علَى علمٍ لست أعرفه ولا انا محتاج اليه . أيصح ان ادعو نفسي عاجزاً مسكيناً ، كما قال فولتير ، لانه ليس لي اربع أيدٍ وأربع رجل وجناحان ؟

سأل احدهم اعمى — أتحب ان يعود اليك بصرك ؟ فاجابه — لو لم يكن في الامر غرابة لقلت لك اني أفضل ان تكون لي يدان طويلتان على ان يعود الي بصري . اذ لا فرق عندي بين ان يزداد احد اعضائي تحسيناً وكمالاً أو أن يعود الي عضو مفقود .

. . . . . .

قال منيبوس لجوبتير — أراك تقصف مرعداً عوض أن تجيب . ألعلك مخطىء ؟

. . . . . .

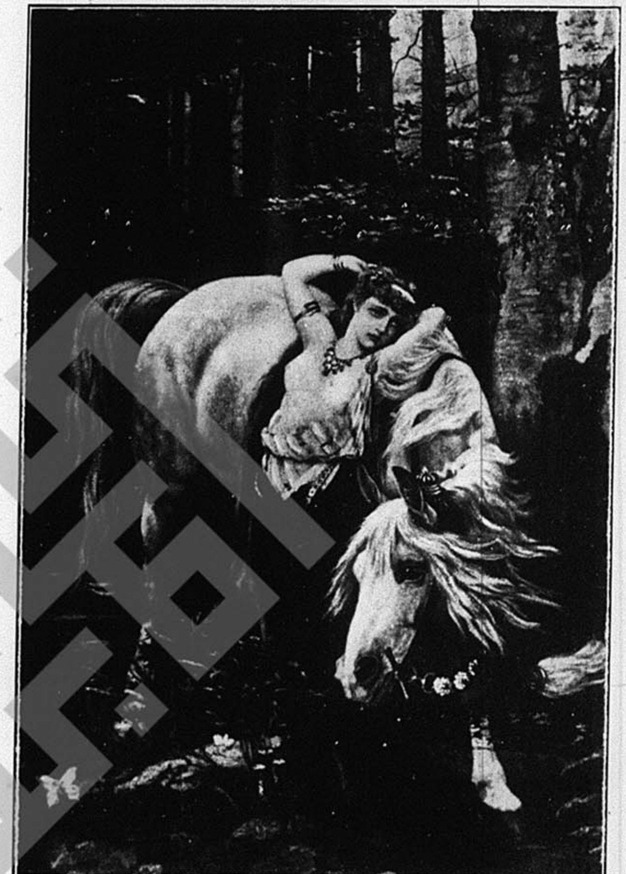
تهدد احد القضاة أعمى بالسجن . فقال له الاعمى — اني لفي السجن منذ خمس وعشرين سنة .

. . . . . .

اني لاعجب ، يا سيدتي العزيزة ، من الناس كيف لا يتعبون من القراءة كثيراً بلا ملل دون ان ينالوا جدوى منها . الا ان يكون السبب ما اراه في نفسي الان . فقد مرّت عليّ ساعتان حدثتك فيهما باحاديث شتى بلا تعب أو ملل دون أن أفيدك شيئاً .

. . . . .

اذا لم تعجب هذه الافكار أحداً فهي ، ولا شك ، رديئة . ولكني أحسبها اردأ ما يكون اذا أعجبت الجميع



حكاية — للمصور ويتشرت

مذكرات الارقش

لخائيل نعيمه

*****

— توطئة —

من هو الارقش ؟

لجأت مرة وصديقاً لي الى قهوة سورية في نيويورك لنحتمي فيها من المطر · ولم تكُ اقدامنا وطأت ارض ذاك المكان من قبل · فوجدنا المكان خالياً من الزبائن فجلسنا بعد ان طلبنا من صاحب المحل قهوة نتسلى بها الى ان تحقن السماء مزاريبها أو يخف المطر قليلاً · وما هي الا هنيهة قصيرة حتى جاءنا صاحب المحل بفنجانين من القهوة العربية · ومما استلفت نظرينا انه كان يمشي متمايلاً ذات اليمين وذات اليسار كالسكران او كأنه يمشي عَلَى قطع من الزجاج برجلين عاريتين · ولم يضع القهوة امامنا حتى ارتمى عَلَى كرسي بجانبنا وقال متنهداً

— « يا حوينتك يا ارقش ··· »

ولما رأى علامة الاستفهام عَلَى وجهينا تنهد ثانية وتابع كلامه — « هالروماتيزم هالكني · ما هو مخلي لي حال ··· لمن كان الارقش هون ما كنت اعرف بشي · كنت قاعد عَلَى كرسي أقبض مصريات بس ··· اليوم صرت بدي

اخدم وروح واجي ... ما بتعرفوش الارقش ؟...»

وقبل ان يسمع منا جواباً تنهد ثانية وقال متابعاً حديثه –« خدم عندي ثلاث سنين . ثلاث سنين تمام . اجاني نهار مثل هاالنهار . فقير مشرتح بلا برنيطه . المطر نازل منو من كل خيط مزراب . شو بتريد يا عمي ؟ – قال – بتشغلني عندك ؟ اطلعت في حالته . انسلخ قلبي عليه . قلت – حسنه لوجه الله . انا بدي شغيل . خلي يشتغل تنشوف خيره من شره . بتشتغل بالموني يا عمي ؟ هز براسه . دفيتو ونشفتلو تيابو وصار يشتغل . بيومين صار يعرف قد ما بعرف انا عن الشغل مرتين . بعد شهرين عينتلو عشر ريالات بالشهر آكل شارب . بعد سنة صرت اعطيه ١٥ . وقبل ما راح بشهر زدتلو ٥ ريالات . لكن هو مسكين بزمانو ما طلب زوده ولا بزمانو تشكى من شي . كان راضي بالف خير ويشتغل بالف قلب ورب . آه يا حوينتك يا ارقش ... »

وهنا سكت محدثنا . وكأني لاحظت ان عينيه قد تبللتا بالدموع فسألته عن اسم الخادم واوصافه الخارجية علني اهتدي اليه صدفة . فهز راسه يميناً ويساراً واجاب .

– « لو كنت بعرف اسمه يما اصله من فصله – ما كان قلبي حزين . قصير . ضعيف . ضعيف قد ما تقول . شعره اسود طويل . عينيه سوده كبار غرقانين . وجهه آكلته الجدري . من هيك صرنا نسميه « ارقش » . نسأله عن اسمه يقول ما بعرف . اسم بيك – ما بعرف . اسم عيلتك –

ما بعرف . من اين انت – ما بعرف . قديش عمرك – ما بعرف . – أغرب من هيك ناس لا شافت عيني ولا بقى تشوف . تاتقول مجنون – ما هو مجنون . بيكتب وبيقرا عربي وانكليزي واسبانيولي وتركي وفرنساوي والله أخبر ايش بعد . لكن بألف كماشه ما بتفتح له تمه . يخدم ويقضي ويروح ويجي – ساكت . تطلب منه غرض يقضيك مثل البرق – لكن عالسكت . خدم عندي ثلاث سنين وما كان يحاكيني أكثر من « أي » أو « لا » . ياما غلبو ناس يحاكوه – ما كان يرد عَلَى حدا . يعمل شغلته عالنصت . ساعة اللي ما يكون في عندنا حدا يقعد عَلَى كرسيه ويسند رأسه بايده ويصير يحلق بروس أجريه . ساعة ، ساعتين ، ثلاثه – ما يتحرك ابداً مثل ما يكون مسمر يما عينيه من قزاز ... لا . لا . أغرب من هيك لا شفت ولا بقى شوف ... لا لحم ياكل ولا سمك ياكل . بقي سنتين ما يضهر لبرّا الا بالنادر . بهاالمدة الاخيرة بس صار يطلع ويروح ويجي ...»

فبلغت الدهشة مني ومن صديقي منتهاها بعد سماع هذه القصة الغريبة حتى تشوقنا الى معرفة اكثر مما عرفناه عن هذا الرجل السري . فسألنا محدثنا ان يطلعنا عَلَى عنوان البيت الذي كان يسكنه خادمه . فنهض للحال وقادنا الى وراء حاجز من الخشب في موءخر القهوة . وهناك انار قنديلاً ضئيلاً من الغاز قائلاً –

– « هون كان ساكن . وهون كان يقضي لياليه »

فتأملنا في المكان حوالينا . واذا به مزدحم بصناديق عديدة وعلب من

القهوة مبعثرة هنا وهناك وزجاجات مرطبات ومشروبات روحية خلا زاوية رأينا فيها لوحين من الخشب ممدودين فوق صندوقين وعليهما ملاءة من المقصور ولحاف من الصوف ووسادة . وبجانبهما صندوقان — الواحد فوق الاخر — مغطيان بجرائد عربية فوقها زجاجة من الحبر وبجانب الزجاجة قلم . وفي زاوية اخرى حنفية ماء ومستودع للفناجين والصواني والكؤوس وموقد غاز لاعداد القهوة . فتضاعفت دهشتنا لما رأيناه . وسألنا صاحب المحل متى ذهب خادمه ولم يرجع . فاجاب ان قد مرّ اكثر من اسبوعين علىَ غيابه . ولما اخذنا نحاول ان نعزيه بان خادمه قد يعود قريباً هز رأسه طويلاً وتنهد تنهدة عميقة وقال

— « لو كان بعده طيب كان بيرجع ... مات الارقش مات . يا حوينتك يا ارقش ... »

فوقفت وصديقي حائرين مبهوتين و كان المطر قد انقطع . فهممنا بالخروج ولكن خطر لي وانا في الباب ان اسأل صاحب القهوة عما اذا كان الارقش ترك بعده اثراً او شيئاً من حطام هذه الدنيا . ففكر قليلاً ثم ذهب متأوهاً الى ما وراء الحاجز الخشبي وعاد بصندوقة صغيرة قائلاً

— « هي كل شي ترك . »

وقبل ان نسأله امراً فتح الصندوقة فاذا فيها كتاب العهد الجديد ودفتر بسيط . فاخذت الدفتر وفتحته واول كلمة وقع نظري عليها كانت — « مذكراتي » مكتوبة باحرف كبيرة . وقبل ان اهتم بمعرفة ما تحويه تلك

المذكرات سألت صاحب القهوة — هل يرضى ان يبيعني الدفتر . وكنت مستعداً ان ادفع مهما طلب مني . لكنه رفع نظره اليَّ بدهشة شديدة وقال

— « بيعو ؟ شو هو جواهر تابيعو ! الله يبارك لك فيه . الارقش — يا حسرتي — يعلم الله اذا كان بعدو طيب . وانا — كتيبي قرايبي — يفتح الله . الله يبارك لك فيه يا خواجا . بس ابقوا تفضلوا شرفونا . هي اول مرة شفناكم عنا من غير شر . منعادي »

فوعدناه خيراً وانصرفنا وانا لا أكاد اصبر حتى اصل الى غرفتي واطالع مذكرات الارقش .

اما الان وقد تلوتها مرة واثنتين وثلاثاً — وقد مضى علىَ غياب صاحبها نحو السنة — فلا ارى مانعاً من نشرها علّ بعض القراء يجدون فيها ما وجدته انا من اللذة . وقد عجزت بعد البحث والتنقيب عن فهم بعض عباراتها فتركت محلها فراغاً . اما طريقة الارقش في تدوين مذكراته بذكره ايام الاسبوع فقط دون تاريخ اليوم والشهر والسنة فتلك لا اقدر ان اعترض عليها وان كنت لم افهم الغاية منها .

هذا كل ما اعرفه عن الارقش فلا تسألوني زيادة

(م . ن .)

مذكرات الارقش

(الثلثا)

الناس قسمان — متكلمون وساكتون .

انا قسم الانسانية الساكت . وما بقي فكلهم متكلمون . اما البكم والاطفال فهم من المتكلمين ايضاً ، لكن الحكمة الازلية ختمت عَلَى افواههم . اما انا فقد ختمت عَلَى فمي بيدي . وقد ادركت لذة السكوت . اما المتكلمون فلم يدركوا للان مرارة الكلام . لذاك سكت وهم يتكلمون

(الاربعاء)

انا ناسك بين الناس ، والتنسك بين البشر أصعب منه بين الوحوش . لانك تستطيع ان تأمن جانب الوحش وتكسب ألفته باللين والمحبة واذا اخفقت وغضب عليك الوحش فلا يمزق منك سوى جسدك الفاني . اما البشر فيحسبون اللين والمحبة منك ضعفاً ويتجنبون الحاق اقل ضرر بجسدك الفاني خوفاً من القوانين التي سنوها . اما روحك الابدية فيستحلون جعلها مشاعاً للشارد والوارد أو مستراحاً يفرغون فيه اقذارهم . ولا قانون ولا محكمة يصدهم . لذاك تركت جسدي هدفاً لالسنتهم وسيجت روحي بالسكوت . رأوا آثار الجدري في وجهي فلقبوني بالارقش . اما روحي الملتحفة بالسكوت ، البعيدة عن ابصارهم القصيرة فلم يجدوا لها اسماً ، لذاك يحسبونني مختل الشعور . ولكنني من وراء سكوتي استطيع ان أرى ما في قلوبهم واقرأ ما في افكارهم ، لانني احكم عَلَى افكارهم لا بما ينطقون بل

بما لا ينطقون . فقلوبهم وافكارهم كتب مفتوحة امام عينيَّ لذاك سكتُّ وهم يتكلمون

(الخميس)

الكذب أصل شقاء البشر . لو لم يكذب آدم عَلَى خالقه لما ناداه — « اين انت » ولصفح الله عن البشرية . وكل المتكلمين يكذبون . لكن البعض يكذبون ويعرفون انهم يكذبون . والبعض يكذبون ولا يعرفون انهم يكذبون . وهؤلاء الاخيرون اكبر ضربة عَلَى الانسانية من الاولين . لانك لا تقدر ان تقنعهم لا بعصا ولا بحجة بانهم يكذبون . ويكذبون لانهم يتوهمون ان اللسان البشري لقادر ان يعبر بلغة بشرية عما ليس بشرياً . والفكر ليس من اثمار الارض بل السماء . وكم تتألم روحي كلما سمعت أحداً يتكلم باجتهاد وحدة واخلاص ثم يعود فيقول لجليسه — « مش هيك فكري » . ولو أحيل الامر اليَّ لوضعت في آخر كل كتاب سطرته يد بشرية من اول الكون حتى اليوم ، ولنقشت عَلَى كل تمثال حفره انسان وكل صورة مدَّ خطوطها مصوّر ، ولاضفت الى كل خطاب فاه به خطيب ، أو قصيدة نظمها شاعر او مقالة حررها كاتب في جريدة او مجلة والى كل عبارة ينطق بها المتكلمون — هذه الكلمات الثلاث « مش هيك فكري »

الصدق يستحيل عَلَى المتكلمين ، اما انا — قسم الانسانية الساكت — فكيف أكذب ? افكاري تتولد وتعيش وتختفي عني وانا اراها كما هي في كل درجات نموّها — عريانة شفافة . اذا كانت صالحة فانا اعرفها صالحة .

وان كانت طالحة فانا اعرفها طالحة . ولا أحاول المستحيل ، فلا اوقفها عن جريها ، وهي تسير مع الوجود الذي لا محطات في سيره . ولا ألبسها أطماراً بالية من لغة البشر لاعرضها عَلَى البشر . اما هذه المذكرات فانا اكتبها لنفسي لا للناس مع ذلك سأضع في آخرها — « مش هيك فكري »

الكلام ممزوج بالصدق والكذب . اما الصمت فصدق لا غش فيه لذلك صمتُ وغيري يتكلم .

(الجمعة)

انا انسان صغير مجهول . لي وجه كقطعة من خشب نخرها السوس . هكذا اظهر في عيون الناس وهذا كل ما يعرفه الناس عني . فلماذا لا يكتفون بذلك ؟ اذا نادوني — « يا أرقش هات ٥ قهوة . » اقدم لهم القهوة . أو — « هات ٣ وسكي يا أرقش » أو « ورق بوكر يا أرقش » — آتيهم بالوسكي والبوكر . فلماذا لا يزالون يسألونني عن اسمي واسم ابي وامي وبلادي وعمري ألخ ؟ فهل اذا عرفوا ان اسمي الياس او طنوس او يعقوب أنقلب في اعينهم فلا اعود انساناً صغيراً مجهولاً ولا يعود وجهي كقطعة من الخشب نخرها السوس ؟ انا لا أعرف لذاتي اسماً ولا أرضى ان اعرف باسم واحد ، لاني اولد ولادة جديدة كلما تولد في رأسي فكر جديد ، وافكاري تتولد بأسرع من لمح البصر . فاذا كنت الان داود فانا بعد طرفة عين لست داود بل سليمان وبعد طرفة أخرى لست سليمان بل شمشون لاني فكر والفكر لا يستقر عَلَى حال فهو كالريح تهب فوق المروج فتشتم منها رائحة المروج ،

وعَلَى الحدائق فيفوح منها شذا الحدائق ، وعَلَى المزابل فتأتيك برائحة المزابل . النسمة التي تمر عليك الان ليست كالنسمة التي مرّت عليك من لحظة قبلها ، والتي ستمر عليها بعد لحظة ليست كالتي تمر عليك الان . وهكذا الفكر . ولما كنت انا فكراً فانا في كل لحظة أو اقل منها انسان جديد . اما جسمي وان كان يتغير — فتغيره بطيء . والخشبة التي نخرها السوس لا تصير صقيلة . لذلك انا « أرقش » وسأبقى « أرقش » الى ان اخلع هذا الثوب وارتدي بسواه . او كما يقول الناس — « الى ان اموت »

الناس في حاجة الى الاسماء ليدونوا تواريخهم الصغيرة ويديروا محاكمهم ودوائر حكوماتهم ويعرفوا ان هذه القطعة من الارض او هذا البيت يخص حنا حنين فلا يجوز لي انا الارقش ان أقتلع بصلة من تلك الارض أو ان ادخل ذلك البيت لانام في زاوية من زواياه اذا كانت العواصف تولول والثلوج تنهمر وانا في الشارع تصطك اسناني ولا ملجأ ولا مأوى

ليت شعري ماذا كان يحل بالناس لو افاقوا ذات صباح ونسي كل منهم اسمه واسماء سواه ! ... الشاعر يكف عن النظم لان الناس لا يعرفون من الناظم فلا يمدحون ولا يذمون . والكاتب يمتنع عن الكتابة ، لان اسمه لا يدوَّن بين اسماء الكتاب . والمصور لا يصور ، لان اسمه لا يظهر في الجرائد . واذا اجاد في تصويره فيعجب الناس بصورته انما لا يقولون هذه من ريشة فلان . والتاجر يكف عن الانجار لانه لا يقدر ان يعلن في الجرائد اسمه وبضاعته المتفردة باوصافها الكاملة . والقائد يحجم عن قيادة

العسكر لانه اذا ظفر فلا احد يقول قد ظفر العسكر الفلاني بقيادة القائد الفلاني

كل ذلك لان الناس لم يدركوا بعد ان سجلاتهم ليست سوى كتابة عَلَى وجه الماء ، وان لا سجل يدوم سوى سجل الكون العظيم حيث لا ينطق صوت ولا تذرف دمعة ولا تصعد تنهدة ولا يولد فكر ولا تلفظ كلمة ولا تتحرك شهوة دون أُتطبع عَلَى صفحاته الابدية · هناك لا اسماء ولا ألقاب ولا انساب—بل اعمال وافكار وعواطف فقط متشابهة لكنها مختلفة ، ومتحدة لكنها منفصلة · ومدونو السجل العظام يميزون بين هذه وتلك كما يميز الاثري الماهر بين آثار خطوط اصبع يدي وخطوط اصبع سواي

انا الان في عرف ش · (١) وزبائنه ارقش — لا اكثر ولا أقل · انسان صغير مجهول له وجه كخشبة نخرها السوس · لا نفع مني الا لتقديم القهوة والوسكي وورق اللعب وغسل الفناجين والصحون · لكن لو قلت لهم غداً أن اسمي عبد الرحمن باشا البغدادي لانقلبت الآية وصاروا هم الخدم وانا السيد ·

دع الناس يسجلوا اسماء الناس اما انا — قسم الانسانية الساكت — فقد رضيت بما تدونه عني الاقدار في سجل الكون العظيم ·

« البقية تأتي »

*****

(١) استخلصت مما يلي في المذكرات ان المقصود بحرف « ش » هو صاحب القهوة ·

« م٠ن٠ »

معلومات عن ابن سينا

ابن سينا ، واسمه الحسين بن عبدالله — ويلقب بالشيخ الرئيس لانه كان فريد عصره في الطب والفلسفة — نشأ في الجيل الحادي عشر للمسيح حين كانت البلاد الاسلامية في الشرق والغرب مرتعاً للفتن تتناوب حكومتها ملوك الطوائف من الديلم والترك والعرب والبربر ، اذ كانت الخلافة العباسية في بغداد اسماً لا فعلاً يسيطر عليها امراء من الاعاجم

بيدَ ان الآداب والعلوم كانت بالغة أوجها من الرقي في تلك الآونة رغم الانحطاط السياسي · ونبوغ ابن سينا وكثيرين غيره من العلماء والادباء (كابن بطلان وابن التلميذ وابن زهر وابن رشد وابن خلدون والخيَّام والغزَّالي والمعري والادريسي وابن زيدون والبيروني) اعظم دليل عَلَى ذلك ·

ولد ابن سينا في قرية قرب بخارى (في البلاد التابعة اليوم للحكومة الروسية) · ودرس الادب والعلوم في بخارى واتى عليها وله من العمر عشر سنوات ·

وكان ابوه يتقلد عملاً للسلطان في مدينته فشرع الحسين يساعده فتدرج في السياسة صغيراً كما تدرج في العلوم ·

ثم تعمق ابن سينا في العلوم الطبيعية والالهية دارساً لنفسه وانصرف بعد ذلك الى الطب · وعالج تأدباً لا تكسباً · واتقنه اتقاناً عجزت عنه الاوائل بلغ كل هذا ولم يكن اتمّ الثامنة عشرة من سنيه بعد · وفاق الاوائل

والاواخر في مدة قصيرة واختلف اليه كبراء هذا الفن يدرسون عليه

ولشهرته دُعي يوماً لتطبيب امير خراسان نوح بن نصر الساماني في مرض عجزت عن شفائه الاطباء فعالجه حتى برىء · فقرَّبه الامير واذن له بالدخول الى دار كتبه وكانت عديمة المثال فاستفاد ابن سينا من هذه المكتبة النادرة فائدة غزيرة · ولما احترقت المكتبة بعد قليل قيل ان ابن سينا توصل الى احراقها ليتفرد بمكنونات علومها ·

ولم يستكمل ابن سينا العشرين من سنيه حتى اصبح عالماً فيلسوفاً طبيباً وفرغ من كل العلوم التي عاناها ·

ويقال انه في مدة اشتغاله بتحصيل العلم لم ينم ليلة واحدة بكمالها ولا اشتغل في النهار بسوى المطالعة ·

وبعد وفاة والده اضطرَّ ان يترك موطنه لاختلال امور الدولة السامانية التي كان يخدمها فتنقل في جهات فارس من بلد الى بلد فحلَّ في بلاط امير خوارزم ثم في بلاط الامير قابوس شمس المعالي نصير العلماء والادباء ثم لما خُلع هذا الامير انتقل الى الري ومنها الى قزوين حتى وصل الى همذان وهو في كل هذه المدة يتصل بملوك الطوائف الفارسية وينال منهم اكراماً وراتباً مالياً وكان طبيب الملوك اينما حلَّ في دورهم ·

ولما كان في همذان استوزره الامير شمس الدولة البويهي ثم حبسه لهياج العسكر عليه ثم اطلقه بعد ان شفاه ابن سينا من مرض ألمَّ به · ولما مات شمس الدولة توجه الى صفهان ولزم بن كاكويه أميرها : وهنالك

مرض واشتد عليه الداء لافراطه في المسكرات وسوء سيرته · وتوفي اثناء حملة حملها ولي نعمة الامير علاء الدين بن كاكويه عَلَى همذان · قيل ان غلمانه طرحوا في دوائه كثيراً من الافيون لانهم خانوه وخافوا عاقبة الامر عند شفائه ولم يكن ابن سينا في مرضه يعتني بنفسه كثيراً ولا يحتمي · فلما وصل الى همذان كان قد أشرف عَلَى الهلاك ونفدت قوته فاهمل المداواة وقال عبارته المشهورة

—« المدبر الذي في بدني قد عجز عن تدبيره فلا تنفعني المعالجة » · ثم تاب (لانه كان في آخر حياته رديء السيرة) واعتق مماليكه وتصدق باموال ومات بهمذان سنة ٤٢٨ ه ١٣٠٧ م · ولم يزل قبره هنالك · ويقال انه مات مغضوباً عليه في السجن وفي ذلك يقول احد الشعراء

رأيت ابن سينا يعادي الرجال ‏ ‏ وفي السجن مات أخس الممات
فلم يشفَ ما نابه بالشفا ‏ ‏ ولم ينجُ من موته بالنجاة

وترك ابن سينا موءلفات عديدة جمة الفوائد اكثرها طبية وفلسفية · فمن الاولى « القانون » وهو يشتمل عَلَى قسمي الطب النظري والعملي · وهو اهم كتبه الطبية ترجم الى اللغات الاجنبية وظل حتى القرن السابع عشر نبراساً للاطباء في الغرب والشرق · ومن الثانية « الشفا » وهو كتاب مطول جامع انتشر جداً ولا سيما في الغرب وهو دائرة علوم في الفلسفة · اعترض اكثر علماء المسلمين السنيين عليه انه خلاصة النكران · وكذلك كتاب « النجاة » و « الانصاف » وهذا الاخير يقع في عشرين مجلداً شرح

فيه المؤلف كتب ارسطاطاليس وانصف فيه بين المشرقيين والمغربيين · ورسالة « حي بن يقظان » وغيرها ·

وله اراجيز في الطب والمنطق ورسائل عديدة وتبلغ مؤلفاته المائة عداً واكثرها منقول الى بعض اللغات الاوروبية

والخلاصة ان ابن سينا كان معجزة زمانه فقد كان عالماً فيلسوفاً وطبيباً مخترعاً وسياسياً في وقت واحد · وكان علاوة عَلَى ذلك شاعراً · ومن شعره المشهور قصيدته في النفس · وهي من أعمق ما نُظم في هذا الموضوع نختم بها هذه النبذة لانها تمثل روح ابن سينا

—(النفس)—

هبطت اليك من المحل الارفع ... ورقاء ذات تعززٍ وتمنعِ
محجوبة عن كل مقلة عارفٍ ... وهي التي سفرت ولم تتبرقعِ
وصلت عَلَى كرهٍ اليك وربما ... كرهت فراقك وهي ذات تفجعِ
أنفت وما أنست فلما واصلت ... ألفت مجاورة الخراب البلقعِ
واظنها نسيت عهوداً بالحمى ... ومنازلاً بفراقها لم تقنعِ
حتى اذا اتصلت بهاءِ هبوطها ... من ميم مركزها بذات الاجرعِ
علقت بها ثاء الثقيل فاصبحت ... بين المعالم والطلول الخضعِ
تبكي اذا ذكرت دياراً بالحمى ... بمدامع تهمى ولما تقطعِ
وتظل ساجعة عَلَى الدمن التي ... درست بتكرار الرياح الاربعِ
اذ عاقها الشرك الكثيفُ وصدها ... قفصٌ عن الاوج الفسيح الارفعِ

حتى اذا قرب المسير الى الحمى ... ودنا الرحيل الى الفضاء الاوسعِ
وغدت مفارقةً لكل مخلفٍ ... عنها حليف الترب غير مشيعِ
سجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت ... ما ليس يدرك بالعيون الهجعِ
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق ... والعلم يرفع كل من لم يرفعِ
فلاي شيء أهبطت من شاهق ... سامٍ الى قعر الحضيض الاوضعِ
ان كان أهبطها الاله لحكمةٍ ... طويت عن الفطن اللبيب الاورعِ
فهبوطها اذ كان ضربة لازب ... لتكون سامعة لما لم تسمعِ
وتعود عالمة بكل خفية ... في العالمين فخرقها لم يرقعِ
وهي التي قطع الزمان طريقها ... حتى لقد غربت بغير المطلعِ
فكأنها برقٌ تألق بالحمى ... ثم انطوى فكأنه لم يلمعِ

ابن سينا وقصيدته

لجبران خليل جبران

ليس بين ما نظمه الاقدمون قصيدة ادنى الى معتقدي واقرب الى ميولي النفيسة من قصيدة ابن سينا في النفس ·

في هذه القصيدة النبيلة قد وضع الشيخ الرئيس ابعد ما يراود فكرة الانسان ، واعمق ما يلازم خياله من الاماني التي تولدها المعرفة ، والسوءالات التي يثمرها الرجاء ، والنظريات التي لا تصدر الا عن التفكر المستمر والتأملات الطويلة ·

وليس من الغرائب صدور هذه القصيدة عن وجدان ابن سينا وهو نابغة

زمانه ، ولكن من الغرائب ان تكون مظهراً لرجل صرف عمره مستقصياً اسرار الاجسام ومزايا الهيولي . فكأني به قد بلغ خفايا الروح عن طريق المادة وادرك مكنونات المعقولات بواسطة المرئيات فجاءت قصيدته هذه برهاناً نيراً عَلَى ان العلم هو حياة العقل يتدرج بصاحبه من الاختبارات العملية — الى النظريات العقلية — الى الشعور الروحي — الى الله

قد يجد المطالع في ما نظمه كبار شعراء الغربيين مقاطع متفرقة تذكره بهذه القصيدة السامية . ففي روايات شكسبير الخالدة ابيات لا تختلف بمعانيها عن قول ابن سينا .

وصلت عَلَى كرهٍ اليك وربما كرهت فراقك وهي ذات تفجع

وفي اقوال تشلي ما يماثل

سجعت وقد كشف الغطاء فابصرت ما ليس يدرك بالعيون الهجع

وفي تأملات غوثي ما يضارع

وتعود عالمة بكل خفية في العالمين فخرقها لم يرقع

وفي ما قاله براونن ما يضاهي

فكأنها برق تألق بالحمى ثم انطوى فكأنه لم يلمع

ولكن الشيخ الرئيس قد تقدم جميع هوءلاء بقرونٍ عديدة . فوضع في قصيدة واحدة ما هبط بصور متقطعة عَلَى افكار مختلفة في ازمنة مختلفة . وهذا ما يجعله نابغة لعصره وللعصور التي جاءت بعده ، ويجعل قصيدته في النفس أبعد واشرف ما نظم في أشرف وأبعد موضوع



ابن سينا

لجبران خليل جبران

الاخلاق (١)

« لامين الريحاني»

★★★★★

وانما الامم الاخلاق ما بقيت
فان هم ُ ذهبت اخلاقهم ذهبوا
« شوقي »

ايها السادة والسيدات

لم يُخلق الانسان اميراً ولا كاهناً ولا سلطاناً ومـا خلق بوذياً ولا مجوسياً ولا مسيحياً ولا مسلماً · انما هي الشرائع تسترق ، والاديان تفرق · اما السيادة فللعقل واما التفاضل فبالمآ ثر والمبرات · اجل ولا ينبغي ان يُرفع امروء عَلَى آخر و يُفضل بغير عقله ونفسه وادبه واخلاقه · كلٌّ منا خُص بلقب من خالقه اشرف من ألقاب الملوك والسلاطين · ألا هو لقب « انسان» ولكل منا حقوق طبيعية متساوية ملازمة غير متعدية لا يستحق ان يُدعى بشراً من ينام عنها او يُغضي عَلَى امتهانها · ولكل منا حقوق سياسية اجتماعية تنشأ في حياتنا المدنية ومنها عارٌ علينا ان نسكت عمن يهتضمها من اولي

---

(١) ألقي هذا الخطاب في حفلة من حفلات الكلية الاميركية ببيروت منذ خمسة اعوام ونشرته مجلة المقتطف بعد ان حذفت منه ما لم يوافق الاحوال السياسية في تلك الايام · وقد رأينا ان ننشره بكامله حسب الاصل نقلاً عن مخطوطات مؤلفه حرصاً عَلَى فوائده الاصلية الجديرة بان تُثبت — المحرر

الرئاسة والامارة ·

وأرى ملوكاً لا تحوط رعيةً   فعلى مَ تؤخذ جزية ومكوسُ»

ولكل منا حقوق ادبية نفسية ليس فوقها غير سنّة الله السائدة في الاكوان والاشياء لا نخضع فيها لسواها — لسنة الله التي تنير في الانسان الضمير كما تنير في السماء الكواكب والنجوم — لسنة الله التي تقرن نور الشمس بنور اليراعة وقوس القزح بألوان الطاووس وزئير الاسد بصوت النبي وتغريد البلابل بقوافي الشعراء · فحقوقنا الادبية النفسية التي لا نخضع فيها لغير سنة الله انما هي برهاننا عَلَى وجود الله · ولا حق اثبت منها واعلى · قد أُلقى في السجن فأحرم حقوقي المدنية · وقد احرم قوتي وأسام العذاب فتمتهن حقوقي الطبيعية · ولكن السجن والجوع والعذاب لا تذهب بذرّة من حقوقي الادبية الروحية · انك اذا استطعت حبس نور الشمس او ايقاف ريح السموم او تقييد امواج البحار لتستطيع سلب حق من حقوق اخيك النفسية · ولكنها قد تُغفل فيه فتفسد فتضعف فتموت · وكذلك حقوقه المادية كلها · ولا حاجة لان اضرب لكم الامثال ايضاحاً · فحرية الحركة مثلاً من حقوقي الطبيعيه وحرية التابعية من حقوقي السياسية · وحرية الفكر والضمير من حقوقي النفسية · وسياج هاته الحقوق كلها الاخلاق بل الاخلاق الطيبة السليمة المجيدة السامية · فاذا أفسدت الاخلاق في امة نامت تلك الامة عن حقوقها · واذا نامت عن حقوقها استبد حاكمها · واذا استبد حاكمها ساء حالها · واذا ساء حالها خربت ديارها · واذا خربت ديارها حق لامة يافظة

ناشطة راقية ان تتولاها فتعمرها

ملك اساسه الجهل والسفه وقوامه الاستبداد والجور ومظاهره الفقر والبؤس والقذارة له يوم من الدهر فيزول · امة لا تسمع فيها غير التأوه والانين والصراخ والشكوى لها يوم من الشقاء فيزول فيبعث الله من يحل قيودها · ويمسح دمعها · وينعش بالعدل نفسها · وبالعلم يجدد قواها · كانت ايام تباد فيها الامم · يبيدها الجهل او الوباء او المجاعة او الظلم او الحرب · واما اليوم فالامم تجدد شبابها لان المعارف والعلوم غير منحصرة في فئة صغيرة من الناس · والاوبئة التي تساعد في افشائها الاضاليل كعقيدة القضاء والقدر وغيرها يكاد العلم يستأصلها · وعاطفة في الامم الراقية شريفة تمدها اموال كثرت في البلاد المتمدنة لا تمكن المجاعات من البشر · والحكومات الاستبدادية لم تعد تطاق · والحروب شبه حروب أتلاً وجنكيزخان امست في خبر كان · فلا خوف عَلَى الامم اليوم اذاً الا منها وفيها · الخطر عَلَى حياتها في قلبها · في نفسها · في حكومتها · في الخاسىء الجامد من علومها ومذاهبها وتقاليدها · في فساد اخلاقها واحكامها وشرائعها

« وجدت الشرعَ تخلقه الليالي   كما خُلق الرداء الشرعبيُ»

فالاخلاق السليمة السامية المجيدة انما هي سياج حقوقنا كلها بل هي من اهم اركان الترقي والعمران · انها لنور العدل في الملك · ونور الايمان في الدين · ونور الصدق في العلوم · ونور الحياة الحقة في الامة · ولنا ان نسأل ما هو مصدر هاته الانوار المعنوية وما هي خاصتها وغايتها · وبكلمة

اوضح ما هي الاخلاق ٠ وما هي اصولها واسباب رقيها ٠ وما هي عوامل الفساد فيها ٠ وكيف تُصلح اذا فسدت في الامة ؟ سأجيب مختصراً عن كل من هذه المسائل ثم اقابل بين ما تسامى من اخلاقنا ومن اخلاق الغربيين لعلنا نهتدي الى الاسمى فنتخلق بها ٠

١

الخُلق غير الطبع والمزاج ٠ الخلق اطلاقاً ما يظهر من الفكر والنفس والمزاج ما يظهر من الشعور ٠ وفي القاموس الخلق الطبع والسجية والمروءة والعادة والدين ٠ فجاء في التحديد بين الطبع والدين ما قد يكون من اهم مظاهر الاخلاق واصولها ٠ ففي الطباع والسجايا شيء من الوراثة التي ليست من بحثي الليلة ٠ واما المروءة مثلاً فخلق في الناس ٠ المروءة مظهر من مظاهر النفس بل صفة راسخة من صفاتها لا يحتاج صاحبها الى اجتهاد او تكلف في اظهارها ٠ وكذلك الشجاعة والكرم والحلم ٠ وكذلك الجبن والبخل والغضب ٠ هذه اخلاق قد تكون خاصيتها معنوية ومادية معاً ٠ قد تكون في كريات الدم وفي الجهاز العصبي وقد تتصل اسبابها بنجوم السماء ٠ ان مزايا النفس السامية التي لا يأتي عليها كيل ولا قياس ليراها الناس فيقدرونها انما هي مادية روحية ٠ ومصدر المادة فيها لم يزل غامضاً نوعاً كمصدر الروح ٠ اما المتطرفون من علماء النفس وعلماء المادة فعلى غير هذا الرأي ٠ عَلَى انه لا ينكر ان مزايا النفس في بعض احوالها كالكهرباء لا تعرف الا بمظاهرها ٠ ففي الخلق العظيم المجيد شيء من طبع البربري واشياء من

سجية النبي الالهية ٠ واما الخلق العظيم عند السالكين اي الإعراض عن العالم والاقبال عَلَى الله تعالى بالكلية فتلك مسئلة اخرى اجيءُ بعدئذٍ عَلَى ذكرها

ولهذه المزايا النفسية علم هو علم الاخلاق او علم السلوك الف علماؤنا فيه مجلدات قلت فائدتها عَلَى كثرتها ٠ وقد تستغربون قولي ان في علم الاخلاق عندنا ما يفسد الاخلاق السليمة السامية ٠ كان العرب في صدر الاسلام وفي الجاهلية يقوّمون المعوج في اميرهم بحد السيف ٠ كانوا يقولون للظالم المستبد من اسيادهم ٠ اما ان تعدل واما ان تعتزل ٠ ويعملون بما يقولون ٠ فجاء بعدئذ من علّموا علم الاخلاق بمقتضى الحكمة العملية فقالوا ٠ « ادفع اليهم ما طلبوا من الظلم ولا تنازعهم فيه وكف لسانك عن سبهم » و « لا تجعل سلاحك عَلَى من ظلمك الدعاء عليه ولكن الثقة بالله » وقال مالك بن دينار والكلام منسوب الى الله «لاتشغلوا انفسكم بسب الملوك ولكن ثوبوا اليَّ اعطفهم عليكم»٠ وقيل ايضاً والكلام منسوب الى نبي الاسلام «سيروا عَلَى سير أضعفتكم»٠ وكثيرة في كتبنا العربية امثال هذه الحكمة العملية التي قلما تراعى الحقيقة فيها٠ وضعت لتقييد المظلوم واُنزلت لتأييد الظالم فافسدت اخلاق الاثنين

اما الحكمة الخلقية فبينها وبين الحكمة العملية تفاوت عظيم وفي تراجم النوابغ من رجال التاريخ مثال حي لهذا التفاوت ٠ خذ اياً منهم يوليوس القيصر او نبي العرب او لوثيروس او كرامول او نابوليون الاول ٠ نوابغ السيف والروح والقلم بل الملك والدين ٠ كل خطير النفس رفيع الاهواء بعيد

الهمة كانت شرعته الحكمة الفطرية في ما ناله من جسيم الامور الى ان صار سيداً في الناس وربٌّ ملك في العالم · فوارس من فوارس السماء اوقدوا في الناس مشعال الحرية والحقيقة فملأُوا البلاد نوراً ظنوه نورهم فرفعوا انفسهم الى مقام الآلهة واتخذوا الحكمة العملية سيفاً لتعزيز شؤونهم وتنفيذ مآربهم · وفي الشرق حتى اليوم ملوك وامراء لا يستحقون ان يكونوا عبيداً لاولئك النوابغ الابطال يرفعون انفسهم الى مقام الالهة ويكلفون الناس التبخير والسجود

« ومن شر البرية ربٌّ ملك   يريد رعيةً ان يسجدوا له »

الاخلاق قوى كامنة في النفس توءثر فيها الحوادث والاشياء فتظهر عفواً لغرض اولي هو ارتياح النفس واطمئنانها · ولا يطمح صاحبها بادئ بدء الى معالي المجد او الشهرة او الغنى او السيادة · خذ الغربي الراقي في امة فسدت حكومتها · فهو يناهضها في الدرجة الاولى طوعاً لحكم ضميره فتطمئن نفسه · ورغبةً باصلاحها ثانياً فتصان حقوقه · واذا تتبع عمله اصابه في الدرجة الثالثة منه بعض النفع والفائدة · فيغرّه اذ ذاك الكسب وتستهويه السيادة فيصبح وا اسفاه سياسياً شرعته الحكمة العملية · اما الشرقي في مثل حاله فقد يتمثل باقوال الحكماء التي ذكرت شيئاً منها ويستعيذ من الظالم بالله · اذا وقف الغربي عند الدرجة الثانية من عمله كان عمله شريفاً مجيداً واذا تعداها كان عمله مشوباً مشيناً · وفي كلا الحالين يظل احسن من ان « ندفع اليهم ما طلبوا من الظلم ولا ننازعهم فيه » · عظم الهمة والجرأة

الادبية ومناهضة الظلم والظالمين اخلاق غربية · والتصون بالتقية والاستسلام الى الاقدار اخلاق شرقية ···

« نشكو الزمان وما اتى بجنايةٍ   ولو استطاع تكلماً لشكانا »

٢

قلت ان الاخلاق مزايا راسخة في النفس تظهر في مظاهر شتى لغاية اولية هي ارضاء النفس واطمئنانها · كالاستسلام الى الاقدار مثلاً عند الشرقيين · او السعي في مناهضتها عند الغربيين · او الهرب منها عند السوريين · لننظر الآن في اصول الاخلاق وعوامل التربية فيها · اذا اجلنا الطرف في عالم الحيوان رأينا فيه امثلة من العمل والصناعة ورقي الحواس قلما نشاهد مثلها في الانسان ولكننا لا نرى فيها عامل الرقي حياً ثابتاً دائماً · فالنمل مثلاً لم يرتقِ في عمله منذ مدحه سليمان الحكيم — كأنه مثل الانسان يضرب به الاطراء — ولا النحل ارتقى في صناعة العسل ولا البلبل في فن الانشاد · ومهما بالغ الانسان في تربيتها تظل الغريزة فيها واحدة وتبقى قواها محدودة · وفي الانسان شيء ادبي روحي ثابت لا توءثر فيه الحوادث والاشياء · الانسان مدني بالطبع وسيبقى مدنياً · وفيه فطرة خير لا يضعفها نكد الدنيا ولا يزيلها البوءس والاستعباد · وفيه عاطفة الحب حية ابدية · وفيه نزعة الى المجد والعلى هي اكليل اهوائه العالية كلها · وفيه مزية سامية الهية تحبب اليه ما هو ثابت دائم ازلي فيعجب من مظاهرها في النمل والنحل والطيور ويأخذه الخشوع والتهيب عند ما يشاهده منها في نظام الكواكب

والافلاك . وعندي ان هاته الخاصية البشرية الالهية التي تتساوى اصلاً في الناس البدو منهم والحضر وتتفاوت فرعاً انما هي المصدر الخفي لما ينشأ فينا من الاخلاق فتتباين وتتفاضل عملاً بسنة الالفة والانفراد . فخلق النساك هو واحد في الهند وفي جبل آثوس لا يتغير . والوفاء في الكلاب لا يظهر الا في مرافقتها الانسان . واخلاق البدو من العرب كانوا او من زنوج اميركا هي واحدة . وما يصح في البدوي يصح في القبيلة . وما يقال في الرجل المتمدن يقال في الامم المتمدنة . اي انها لا تفضل بعضها بعضاً ادباً واخلاقاً ولكنها تختلف في ذلك اختلاف عاداتها وتقاليدها وشرائعها . حرية الافرنسي الجمهوري مثلاً لا تفوق حرية الانكليزي الملكي . وليست اخلاق الانكليز بافضل من اخلاق الفرنسيس . بل الامتان تستويان في الفطرة البشرية السامية كما تستوي افرادها ولا تختلفان الا ظاهراً وعرضاً كما تختلف الطيور في ريشها ولونها وكما تختلف في شكلها اوراق الاشجار — لا يفوتنكم ان موضوعي الاخلاق لا الطباع — اما النزعة الشديدة الى العلم . والطموح الى المآثر العالية . والصبو الى استطلاع ما وراء الاشياء الى اكتشاف اسرار الطبيعة ليستخدم ما فيها من القوى الكامنة في سبيل الرقي والعمران — رقي الانسان وعمران البلاد — فهذه كلها من المزايا الراسخة اليوم في روح المدنية الجديدة ولا فضل لامة عَلَى اخرى الا بما احرزته من جسيم الامور في مضمار الفكر والبحث والعمل وبما اكسبها نوابغها من مجد في سبيل الانسانية ومفخرة . وهذه السجايا الشريفة في الامم انما هي نتيجة الاخلاق السامية في افرادها

العاملين . وهي السبب ايضاً في ما قد يكون اسمى منها في ابنائها الآتين

يقال ان الانسان ابن الاحوال اسير الحوادث خاضع لاحكام الزمان مقود بزمام القضاء . وقد يكون الحيوان وما في البشر من الحيوان كذلك . اما الانسان — وفي كل جماعة وكل امة تجده — فهو فوق الاحوال والجموع والحوادث . وهو في الاحايين يتغلب عَلَى القضاء . فيكتشف بلاداً جديدة . ويغير خريطة العالم . ويذلل العناصر . ويسوق الى غرضه سنن الاكوان . ويهدم الهياكل ويؤسس الاديان . يزعزع الممالك ويبيدها . ينفح في الامم المائتة روح الحياة . الانسان حر في ارادته وعمله وفكره . مهيمن عَلَى نفسه . مالك زمام الحوادث التي ترفع به الى ما فوق اصطلاحات الجموع واحكام الناس . ولو لم يكن كذلك لكان اعتقادنا بالله باطلاً . لو لم يكن كذلك لكانت اخلاق البشر كغرائز الحيوان لا يعمل بها ناموس النشوء الحي ولا تؤثر فيها عوامل الارتقاء الثابتة .

يقال ان سر السعادة في تكييف اميالنا لتوافق الاحوال التي نحن فيها لا في تكييف الاحوال لتكون لنا سلماً الى تشوقاتنا البعيدة وآمالنا العالية . وقد يكون هذا سر النجاح في التجارة وفي السياسة لا سر السعادة . وقد يوافق الصيرفي والاسكاف والبقال . ولكن الانسان المدرك ما فيه من قوى الاكوان الكامنة الناظر الى اليد العلوية التي ترصع الافلاك بالنجوم وتخط فيها الاسرار وتنصب منها للنفس البشرية محجة انوارها لا تنطفىء — الانسان الذي لا يعيش ليومه ولنفسه يرى ان عليه ان يسعى ابداً سرمداً في ترويض

عقله للفكر وارادته للعمل وشعوره لما رقَّ ودق في الحياة . علينا ان نجاهد في سبيل العلم الذي هو اساس ملك الانسان في الدنيا وفي الاخرة

هذه الارض موطىء قدمي الله وموطىء قدمي الانسان . ما فيها ينبغي ان يكون طوع ارادته خاضعاً لفكره عاملاً بمشيئته . البخار والكهرباء والاثير درجات في الفكر والاكتشاف تؤدي الى درجات في سماء النفس فوقها . من كان ليحلم في الماضي ان قوة كامنة في الفضاء يتمكن الانسان من تسخيرها لتحمل انباءه من اربعة اقطار العالم بعضها الى بعض . التلغراف اللاسلكي اليوم . والتلفون اللاسلكي غداً . وبعد غد ان شاء الله نخاطب بعضنا بعضاً بواسطة النفس التي هي آلة الفكر الكهربائية . أتقول ان هذه اضغاث احلام؟ ولكن احلام السلف واوهامهم هي اليوم حقائق راهنة .

اجل سادتي . ان هذه الارض وهي ذرة في فضاء الاكوان بما فيها من قوات ظاهرة وكامنة وبما فوقها وحولها من العجائب والاسرار انما هي موضوع مساعي الانسان الفكرية والسياسية والاجتماعية والدينية . « ان الوجود لسر مكشوف » كما قال الشاعر الالماني الشهير . ولا يرى منه ويدرك عَلَى ما اظن غير ما نستطيع استخدامه والانتفاع به . وما يرى ويدرك لا يذلله غير العقل . ولا يعمل العقل الا حراً مشجعاً . ولولا هذه الحرية وهذا الاقبال عَلَى العلم في البلاد العامرة الراقية لما اتصلنا الى ربع ما نحن فيه ممتعون من ثمار العلوم والصناعات . وان حب العلم وتشجيع العاملين به لمن ثمار الاخلاق الشريفة السامية .

٣

ها قد عدنا الى اصول الاخلاق بعد ان انتقلنا قليلاً الى بعض نتائجها . اجل ان اصول الاخلاق لفي هذه النفس الخالدة القلقة الانسانية المتيقظة النازعة الى استطلاع انباء ما وراء الطبيعة لاصلاح شؤون المجتمع ولرفع شأن الافراد فيه والجماعات . والاخلاق في نشوئها ونموها وتنوعها خاضعة مثل مظاهر الكون لعوامل خارجية طبيعية واجتماعية . ولكن طيب شذاها لا يتغير عَلَى تنوع عوامل الرقي فيها . غصن ورد تزرع نصفه في تربة حارة في اقليم حار ونصفه الاخر في تربة باردة في اقليم بارد فلا يتغير في وردها غير الحجم واللون . اما شذا الوردتين بل نفسهما بل خلقهما فهو واحد في الحالين . هذا في النبات . وفي السياسة اذا تغيرت الاحوال تتغير مبادئ السياسيين واما فضائل النفس فهي واحدة في كل مكان وزمان . والنفس الكبيرة السامية لا تعمل فيها الحوادث ولا تفقدها الاحوال فضيلة واحدة من فضائلها . عَلَى ان مسلكها قد يتغير في الناس ويتنوع فتكسبه الاحوال شيئاً من روحها وطبيعتها . قال ابن خلدون « الانسان ابن عاداته ومألوفه لا ابن طبيعته ومزاجه » والاصح انه ابن الاثنين

من الباحثين في طبائع البشر والعمران اناس يقولون ان عوامل الهواء والشمس تغير في جوهرها تغييراً بيناً . ومن هؤلاء العلماء منتسكيو وابن خلدون . اما ظاهر تأثير الهواء والشمس ففي الاجسام كما نشاهده مثلاً في ألوان البشر وريش الطيور . رأيت في احد متاحف لندرا نوعاً من الطير

من فصيلة واحدة بعضه من اقليم بارد وبعضه من اقليم حار ولا يختلف سوى لون الريش في الطيرين . اما تأثير الاقاليم في الاخلاق البشرية ففيه نظر . يقول منتسكيو ان الجبن خُلق في سكان البلاد الحارة وان الشجاعة من اخلاق سكان البلاد الباردة . ولكن الرومانيين قديماً (سكان ايطاليا الحارة) غلبوا السكسونيين (سكان بريطانيا الباردة) فتأملوا . وعندنا في العرب شاهد آخر . كان عرب البادية احسن خلقاً وارقى نفساً من اهل البلدان المتمدنة التي احتلوها وسادوها ناهيك بشدة بأسهم وشجاعتهم . فاذا كان صحيحاً ما يقول ابن خلدون ومنتسكيو ان الحر يذهب بالبأس والمنعة وهما من الاخلاق المجيدة في الناس لِمَ لم يؤثر قديماً في الرومانيين ولِمَ لم يؤثر في العرب ؟ أوَ ليست شجاعة الامم المعنوية الروحية فوق شجاعتها المادية ؟ قد فات ابن خلدون هذا . وما قولنا في الحبش وهم جيران العرب يسكنون في منطقة واحدة ولا يفصل بين الامتين غير البحر فاين منهم بأس العرب ومنعتهم ؟ واين آدابهم واين شعرهم واين نبيهم ؟ فهل تشقي الشمس قوماً وتسعد قوماً ؟ وهل كان الاقليم محابياً في امة متحاملا في اخرى ؟ وهاكم مثالاً آخر من بحث ابن خلدون في تأثير الاقاليم في الاخلاق. وصف السودانيين بالخفة والطيش وشدة الطرب ونسب ذلك كما فعل منتسكيو بعده الى هواء بلادهم وشمس الاقاليم الحارة . وقد كتب تسيتوس المؤرخ الروماني فصلاً في الشعوب الالمانية القديمة الذين استوطنوا البلاد الشمالية الباردة فوق نهر الدانوب فوصفهم كما وصف ابن خلدون

السودانيين بالميل الشديد الى اللهو والطرب فقال « انهم في ايام السلم لفي هرج ومرج دائماً قائمون » ولم ينسب المؤرخ الروماني ميلهم هذا الى العوامل الطبيعية . اخلاق القبائل في امور كثيرة هي واحدة كما قلت ولا تختلف باختلاف الاقاليم كما يظهر مما تقدم . اما اذا كانت طبيعة الفرح والسرور انتشار الروح الحيواني كما يقول ابن خلدون وطبيعة الحزن انقباضه وتكاثفه فتكون الحرارة سبب الاولى ويكون البرد سبب الثانية . ولكن هذا نظر سطحي . فالالمانيون القدماء كانت تغلب فيهم كما قال المؤرخ الروماني طبيعة الفرح والسرور واهل اوربا الشمالية اليوم وهم من سليلة اولئك الاقوام تغلب فيهم طبيعة الحزن والكآبة . وهواء تلك الاصقاع اليوم هواؤها منذ الفي سنة واقليمها واحد لم تتغير فيه شمسه وسماؤه . فما السبب في تغير طباعهم يا ترى ؟

لم اكن لاستوقفكم عند هذا البحث لو لم تكن قد اتهمت سماؤنا نحن السوريين بخمود طباعنا . فقال الاوربيون ان لطيف هوائنا وجميل جونا لما يدعو الى الخمود والخمول . ومعاذ الله ان تكون هذه السماء الجميلة سماؤنا امَّ هاته الآفات في ابنائها . وانما هنالك عوامل اخرى مدنية ودينية وادبية غير عوامل الشمس والهواء والحر والقر .

٦

الاخلاق كما قلت مزايا راسخة في النفس تعمل في اظهارها الاحوال الاجتماعية في الدرجة الاولى . ومن هذه العوامل الاجتماعية العادات والتقاليد والشرائع والاديان . فهي تعمل في اصلاح الاخلاق كما تعمل

في افسادها ·

وهاكم مثالاً من ترهات امة شرقية مما لم نزل نحن في بعضها · كان للتتر ايام جنكيزخان قوانين واحكام سخيفة يراعونها وينزلونها منزلة الشرائع الالهية · ومن اغربها ان من يرمي سكيناً في النار يُعد مجرماً قصاصه الشنق وكذلك من نام عَلَى سوط او ضرب حصاناً برسنه او كسر عظماً عَلَى عظم آخر — ولكنهم وان احترموا مثل هاته الترهات من الاحكام لم يروا في نكث العهد عيباً ولا في السرقة والنهب والقتل ذنباً · فالاحكام السخيفة والقوانين الباطلة افسدت اخلاقهم فامسوا لا يعرفون من الخير والشر غير ما اجازه الحاكم او ابطله · والشرائع السخيفة الباطلة في امة لا تعرف غير اميرها سيداً تذهب بحرمة النواميس الطبيعية والالهية · ناهيك بما لها من التأثير الخبيث في روابط الالفة وفي الجامعة الوطنية

« ان الشرائع القت بيننا إحناً   واودعتنا افانين العداوات »

ليس الذنب اذاً ذنب سمائنا وهوائنا · بل هي الشرائع كما قال المعري ولم تزل كما كانت في ايامه تعبث بالعقول وتفسد في الاخلاق و

« كم وعظ الواعظون منا   وقام في النـاس انبياء »
« فانصرفوا والبلاء باقٍ   ولم يزلْ داؤك العيـاء »

٤

اما عوامل التربية في الاخلاق فعديدة اذكر اهمها الليلة ولا افيض فيها لضيق المقام واذا حصرت النظر في اوربا فلأن مدنيتها خلاصة مدنيات العالم

جمعاء · في الاعصر الخالية عند سقوط الدولة الرومانية كان الدين المسيحي العامل الوحيد الصالح في تلطيف اخلاق البرابرة هناك · ولكن الفساد الذي اعترى الكنيسة واربابها بعد ذاك تفشى في البلاد وعمَّ شعوبها فخيمت عليهم ظلمات امرها في التاريخ مشهور · وكلنا نعلم ما كانت فيه تلك الامم من الجهل والخرافة والخمول يوم اشعل العرب مشعال العلوم في بغداد فاتصل نوره بالاندلس وشعَّ منه اشعة في صوامع الرهبان في اوربا · فالرهبان اذن اول من اشتغلوا في احياء العلوم في بلادٍ لم يكن ليسمع فيها غير قرع الرماح وصليل السيوف وصوت الكنيسة الرهيب · وللحروب الصليبية فضل في تدميث اخلاق الاوربيين وتلطيف اذواقهم وتحسين نسلهم · ونظام الاقطاعات الذي لا يرى فيه بعض المؤرخين غير الجور والعسف والاستبداد ربى في العامة اخلاقاً شريفة اهمها الوفاء والصدق واسس في الاسر الاوربية سيادة المرأة · والنهضة الاصلاحية الدينية حررت نفس الانسان من قيود السلطة المطلقة · والثورة الانكليزية الاولى اعطته حجة بحقوقه · والثورة الافرنسية الشهيرة متعته بها وعلمته التؤدة والاعتدال · وهناك عوامل اخرى عديدة كاكتشاف اميركا واختراع الطباعة واحياء الفنون والصناعات مما هو من نتاج العقل الذي يجلو مظاهر الاخلاق ويشحذها

ولا يفوتنا ان نذكر بعض الفلسفات الاوربية وفضلها في تهذيب الاخلاق كالفلسفة الاستقرائية التي احياها ديكرت في فرنسا وباكن في انكلترا فلقنت الاوربي حكمة الريب وعودته ان يسأل « كيف ولماذا » في

كل عقيدة ومذهب وتعليم . وحببت اليه البحث العلمي والتمحيص . ثم الفلسفة الكمالية الالمانية التي غذت عقله ونفسه. ثم الفلسفة الانكليزية العملية التي غذّت جسده فاشتدّ ساعده وصحت عزيمته . وفي هاته الفلسفات كلها ترى ان المقام الاول في العمل انما هو للارادة . فالارادة اذا ضعفت في المرء ضعفت فيه فضائل النفس والعقل والجسد كلها . والارادة مثل كل الجوارح فينا ينميها الترويض وتعززها الممارسة . وهل تظنني مغبوناً اذا حرمت نفسي قليلاً مما اعتدته من اساليب الراحة والرفاه او عملت عملاً صغيراً استثقله متعمداً في ذلك لا إماتة نفسي بل ترويض ارادتي للعمل ؟ فاذا مرَّ عليَّ سنة وانا كل يوم اعزم عزماً مهما كان صغيراً وانجز العمل به استطيع ان اقول مع الفيلسوف كَنت « عليَّ ان افعل اذن لي ان افعل » اذ ما الفائدة من هذه الافكار الجميلة افكارنا ومن هذه الاخلاق الفاضلة المجيدة اذا كنا لا نروض انفسنا لها ونعمل بها عازمين حازمين لينتفع بها الناس ولينتفع بها الوطن .

ولا انكر ان الضرورة في الاحايين تغير من اخلاق الناس فتحسنها او تفسدها . ضاقت مدينة اثينة عَلَى سكانها ايام مجدها . والارض المجاورة لم تكن خصبة فقلت المواشي وعزت فاغفل الناس الاضحية . فافتى الحكماء ان هدية تهدى الى الالهة لخير من ثور يذبح لها . فاتخذ الاثينيون الفتوى سنة لانهم كانوا اشد من الالهة حاجة الى اللحم . وكان هذا سبب اعتدالهم وحكمتهم . حتى ان الناس بعدئذٍ وقد نسوا او جهلوا الاسباب قالوا ان

الاثيني ارقى في خلقه الديني من سواه . ومثل هذا في التاريخ امثلة عديدة لامور صغرت اسبابها وكبرت نتائجها .

اما عوامل الرقي الفلسفية والفنية التي ذكرتها فقد لا تلزم لتهذيب الاخلاق في القبائل البدوية وقد تحرم منها امة وتكون اخلاقها سليمة كأمة العرب في صدر الاسلام . ولكن الملك اذا اتسع وتعددت فيه المساعي والنزعات قام في ظله من مظاهر الابهة والجلال والنفوذ والاقتدار ما لا تسلم عواقبه ويسلم الملك منها اذا حُرم عوامل الرقي الخلقية والعلمية والفلسفية والفنية . ولنا عَلَى ذلك شاهد من الدول الشرقية الماضية ومن الدولة العثمانية اليوم . ولكن بحثنا الليلة في الاخلاق لا في السياسة

قد اتضح لكم اذاً ان العوامل الاجتماعية توءثر في الاخلاق مثلما توءثر عوامل الاقليم اي الحر والبرد في الحيوان وفي ما هو حيواني في الانسان . بقي علينا ان ننظر خصوصاً في ما يحط الاخلاق ويفسدها فتخمد في سبيل المجد والعلى ولا ينشط صاحبها الى نصرة ما فيه اقامة حق او ارهاق باطل . ولا يطمح الى مأثرة ولا تسمو الى منقبة همته . بل يغضي عَلَى الضيم خاملاً وقد رئم المذلة والاستعباد . وان عبداً لعاداته الذميمة لكمثل عبد الحكومة الاثيمة . ففي الغرب كما في الشرق مذاهب وعقائد وتعاليم تذهب بالبأس والمنعة والشجاعة والاباء فتطفىء في المرء نور الضمير . وتخدر منه الحس والشعور . وتقعد فيه الارادة الا في سبيل الاباطيل والمنكرات . احقاً ان الغاية القصوى من الحياة ان ينجح الانسان في عمله مهما كان

وكيفما كان ؟ عَلَى رسلك ايها المتكالب في سبيل المال العابث بما في الحياة من جوهر الكمال · ان في الحقول وفي الحراج وفي المناجم ما في السماء وفي البحار وفي النفس البشرية من جمال · لا يوزن منه للتجار ولا يكال · وانت ايها الزعيم زعيم العمال · سمعت اناساً يقولون انك تتاجر بالفقر والفقراء فتمسي غنياً · وانتم ايها البائسون المؤمنون بمن لا يصدقون ويلمكم ساذجين! يشحذون فيكم الغرائز ويقضون عَلَى اخلاق سليمة فيكم خامدة ويغرون عليكم الاسياد · والى غاياتهم عَلَى بؤسكم يسيرون

« وما انخفضوا كي يرفعوكم وانما   رأوا خفضكم طول الحياة لهم رفعا »

وسيدي صاحب الدولة والرتب العالية انجيله غير انجيل المسيح الذي يتبجح باسمه · انجيله كتاب عرفناه · هو « كتاب الامير » رأيناه يتخذه دستوراً لاعماله واقواله · (« وكتاب الامير » لمكيافلي ايهـا السادة يعلم الكذب في السياسة والمكر والغدر والسفسفة والرياء)

قال الكردينال ريشليو في وصيته السياسية ان الحاكم لا ينبغي ان يولي صاحب الشرف والوجدان · وفي كتبنا العربية التي تعلم الملوك والسوقة السلوك كثير من هذا · وان نصيحة ريشليو لتذكرني بما قاله عمر عندما عزل زياد بن ابي سفيان قال زياد — لمَ عزلتني يا امير المؤمنين ألعجز ام لخيانة ؟ فقال عمر — لم اعزلك لواحدة منهما ولكني كرهت ان احمل فضل عقلك عَلَى الناس ·

فالشرف والكياسة والذكاء والوجدان عيوب في صاحب السياسة غربياً

كان او شرقياً الا اذا استخدمت في المصانعة والكذب والمكر والخداع

عَلَى ان الشرقيين قد لا يرون في مدنية اوربا غير آفات افضت فيها في خطاب لي سبق فينفرون منها بل ينبذون من اجلها المدنية كلها زاعمين ان فيها ما لا يوافق حالهم وشؤونهم وطباعهم · ولعمري ان ما فسد في تلك المدنية لا يوافق احداً من الناس لا شرقيين ولا غربيين · وفي اوربا واميركا كثيرون من ذوي الرصانة والحصافة نوابغ في العلوم وفي الفنون وفي الاداب يحملون عَلَى ما في مدنيتهم من الموبقات والمنكرات · واكثرها آفات ظاهرة تعرف الحكومة كيف تتأثرها لتصلحها او لتستأصلها · واما في الشرق فآفات المدنية خفية دقيقة يصعب عَلَى العلماء معالجتها ويعجز في سبيلها الحكام · الغربي بما فطر عليه من حب الحرية والجهر بالامور يجرأ عَلَى عمل قد يكون مخالفاً سنن العدل المصطلح عليها ولا يخفي قصده عن الناس بل يسير اليه في رائعة النهار ويعززه بحجة عقلية او سياسية · وقد يكون مجرماً مع ذلك او فوضوياً · او شاعراً او سرياً · اما الشرقي فنفسه كتاب من الاسرار مختوم لا يعلم منه الا ما نقش عَلَى الختم — « اللطف · المجاملة · المصانعة · الاستسلام » — تحدث الشرقي في اجل الامور او في احقرها وتطلق لنفسك العنان في النصح او النقد او التقريع فيهز رأسه مؤمناً محبذاً — اي نعم — تمام — الحق معك — هذا صحيح — حبذا والله — ثم يذهب في شأنه ثابتاً في ضلاله

اخواني · في كل اخلاقنا الكريمة الشريفة ما وجدت خلقاً واحداً يقارن الجرأة الادبية والحرية الادبية · شعوب وامم تفرقوا مذاهب وهم في حاجة

الى التفاهم قبل كل شيء · ومفتاح التفاهم التصريح بمقاصدنا وغاياتنا · التصريح بما تكنه افئدتنا مما يختص بشؤوننا الاجتماعية والدينية · اما هذه الحرية السياسية التي ترفع في الجرائد وفي الاندية عقيرتها فليست صافية من شوائب التقية والتعصب والمخاتلة · لم يزل هذا الشرقي شرقياً مسلماً كان او مسيحياً · فيقف مثلاً امام الحاكم مكتفاً مزرراً ويتأدب تأدباً لا يمنعه من الغيبة والنميمة عندما يخرج من الديوان · ويظهر ان سبَّ الحاكم سراً خلق قديم من اخلاق الشرقيين · لذلك قيل في الامثال · « ادفع اليهم ما طلبوا من الظلم ولا تنازعهم فيه وكف لسانك عن سبهم »

عَلَى المرء ان يدفع الحجة بالحجة والظلم بالحق واذا اقتضى الامر فبالتمرد والعصيان · فيكون التمرد اذ ذاك حقاً والعصيان واجباً · عليه ان يطالب ابداً بحقوقه المهضومة مهما كانت · فاذا نام عن صغيرها لا يستطيع صيانة كبيرها · ولكن الشرقي لوفرة ادبه او لكبر نفسه او لشدة ورعه يُغضي عَلَى الضيم ويعود الى الله · وقد يتأوَّه في سره ويشكو الزمان · والحق يقال ان في الناس حتى في الغرب كثيرين مثل الشرقيين يسكتون ولا يعارضون ما زالت تجارتهم رائجة وما زالوا عَلَى شيء من العيش رغدٍ هنيء · ولكن هذه المظالم التي اصبحت من المزايا الشرقية المحضة لا تكثر في الامم الغربية · ولا بدَّ للتجار اصحاب الذراع والميزان من المجاملة والمكايسة فالحضارة تنبه في الانسان غرائز لا اثر لها في فطرة اهل البادية · وحبذا اخلاق العرب · حبذا البأس والمنعة وعزة النفس والمرّوءة والاباء والشهامة والوفاء · ولكن

الاحكام الشرقية والتقاليد الدينية والمذاهب السياسية ذهبت باكثرها

« في كل جيل اباطيل يدان بها فهل تفرَّد يوماً بالهدى جيلُ »

ترانا لا نأتي عملاً لا يكون منصوصاً عليه في كتب الدين · ولا نخطو خطوة لم يخطها قبلنا اجدادنا · ولا نقول في مشاكل الحياة قولاً لا نستطيع اسناده او اسناد مثله الى احد الائمة الكبار · ولا يمسنا ضر او خير الا منه تعالى · فنتوه في جهلنا قائلين — انا لله ! ونتربع عَلَى بساط المذلة صارخين — انا لله ! ونركب مطية الجبن والعجز متأوهين — انا لله ! وتحل بنا سبع ضربات مصر فنصرخ مبتهلين — والحمد لله والشكر لله ! ! جميل هذا التناهي في الورع والتقوى · جميل هذا الصبر والاستسلام · ولكنَّ امماً في المغرب اراحوا الله من صراخهم وشكواهم فافلحوا · سادتي · خلق الله الطير ليطير بجناحيه لا ليتمرغ بهما في اوحال اليأس ويكسرهما عَلَى صخرة الايمان · وأجنحة النفس والعقل في الشرقي لم تزل والحمد لله سليمة ولكنها مكبلة مقيدة · قيدتها القناعة والاستسلام · قيدتها عقيدة القضاء والقدر · قيدتها الاحكام الظالمة · قيدتها السيادة الدينية المطلقة · قيدتها الطاعة العمياء · قيدتها التقاليد والخرافات · بل قيدتها المرأة في قيودها · حلوا قيود المرأة الشرقية فتحل قيود الشرق كلها تدريجاً ·

ومن غريب سجايا الشرائع والاحكام انها تحرر جيلاً من الناس وتستعبد آخر · كانت عقيدة القضاء والقدر قديماً من اكبر عوامل النصر في الاسلام وهي اليوم من اكبر العوامل في تأخر المسلمين · والشريعة التي حررت المرأة

من احكام الجاهلية وعاداتها أمست اليوم نيراً علَى المرأة لا يطاق · الشريعة التي تقبلها امرأة العصر الخامس لا تقبلها امرأة العصر العشرين · والتي تقبلها امرأة اليوم قد ترفضها امرأة الغد · وهذا هو ناموس الترقي الحي الدائم الذي يخدع المتشرع والمصلح والحكيم · سنن الادب والدين والسياسة انما هي من عقل الانسان وانما هي التي ابقت عقل الانسان في قيود الجهل والعبودية زمناً طويلاً · علَى المرء ان يكون متيقظاً عاملاً ناشطاً مفكراً فلا يقبل اليوم من الشرائع التي سنت لاجداده ما لا يوافق حاله ولا يساعده في ترقية نفسه وعقله بل في ترقية قواه الحيوية والروحية كلها · عليه ألاَّ يكون ممن

« عاشوا كما عاش آباءٌ لهم سلفوا   واورثوا الدين تقليداً كما وجدوا »
« فما يراعون ما قالوا وما سمعوا   ولا يبالون من غيٍ لمن سجدوا »

لو سلم كولمبوس بالمقدر لما سافر سفرته العجيبة وما اعظم تلك الثقة ثقته بنفسه ونتيجتها — عالم جديد· ولو سلم اولئك الانكليز القلائل بالقضاء ورضخوا لمظالم حكومتهم لما هجروا بلادهم · وما اعظم نتيجة تلك الهجرة — جمهورية جديدة عظيمة · ولو سلم العلم باحكام القضاء لكانت الاوبئة والامراض تبيد سوريا وقبائل من البشر كل عام ·

ومن العقائد التي تعلم السجود لغير الله ما هو مجحف بالفضيلة مفسد للحقيقة الكلية المطلقة كعقيدة الثواب مثلاً والعقاب فالجحيم يجعل الانسان هلوعاً وقاسياً وجباناً والجنة والسماء تنسيانه واجباته في هذا العالم وما رأيت ورعاً اجمل من ورع من يمارس الفضيلة حباً بها ومن اجلها· اما عقيدة القضاء

والقدر فهي المسؤولة عن اكثر ما نحن فيه من الاستكانة والمذلة والخمود (« عليَّ ان افعل ») فالمقدر للجماد ولما فينا من جماد لا للعقل المفكر والنفس الخالدة · ان الاحوال الظاهرة لبنت الفكر وان الفكر لسيد الحوادث

ومن سعى سعياً جميلاً في تكييفها لتوافق نزعات النفس السامية ولتحقيق آمال الفكر العالية كان من الصالحين المقربين من الالهة · وما يعترضنا في طلب الحقيقة وفي تعشق صورة الكمال من جهل وتعصب وتقاليد وخرافات فمن الشيطان لا من الله · وعلينا ان نناهضها لنذللها ونستأصلها تماماً

قال إمرسون — « النفس الخالدة هي التي ترى الخلود في كل شيء وتساعد في تكوين العالم » · وفي النفس مرآة الهيئة تنعكس فيها صورة الكمال · وكل فكر جميل يصقلها وكل فكر خبيث يشوهها · علينا اذاً ان نهجر اميالنا السيئة وآمالنا الباطلة ونزدريها اذا اعترضت الفكر الجميل في سيره وسعيه وجده · ان ارادة الانسان اذا ادركها وروَّضها لعظيمة · ومتى بدأ يقول « عليَّ ان افعل اذن لي ان افعل » كما قال الفيلسوف كَنت ويقرن بالعمل قوله يتدرج الى السيادة المطلقة في ممالك الحيوان والنبات والاثير وفي ما فوقها للنفس من ملك لا يُحد

ولكل منا دائرة اجتماعية صغيرة يستطيع ان ينير فيها مصباح الفكر والحب والارادة · ولكل منا سلسلة حوادث يتألف منها المهم في حياتنا الاصطلاحية فيستطيع ان يكيفها لتوافق ما سما من افكارنا وما سلم ورق من شعورنا · هذا اذا كانت لنا ثقة بانفسنا فنعزز بالعمل الارادة فينا

ولا بدَّ من سقوط كل عقيدة دينية كانت او سياسية او فلسفية من شأنها ان تبقي الانسان في ضعفه وجهله وخموله . ولا بدَّ من اضمحلال مذاهب وتعاليم ركنها الاول من الوهم والخرافة . ولا بدَّ من نسخ كل شريعة لا يقرها العقل ولا يخضع لها الضمير . وما نهض بالاوربيين من مهامه الجهل والهمجية والاستعباد غير تحررهم من خزعبلات السياسة والاحكام ومن قيود الخرافات والاوهام .

في جزيرة جاوى نوع من الشجر لا ينمو في ظله نبت ولا يعيش حيوان. شجرة في جذعها واغصانها سم يسم تربتها وظلالها فتراها وما حولها من الارض الجدباء كأنها واحة في قلب البادية . وهذه لعمري شجرة الخرافة يزرعها ارباب الدين في النفس فيسمون فيها الفضائل والاخلاق . وتمتد ظلالها الى العقل والى القلب فتفسد فيهما الفكر والشعور . شجرة جذعها من الخوف وسمها من الجهل واغصانها من الاوهام وثمارها وان كانت كبيرة جميلة فكتفاح سدوم قلبها رماد وكبريت . متى يتقلص ظلك في الشرق ايتها الشجرة السامة المهلكة . متى يستأصلك العلم من انفس الشرقيين . ومتى يُطرد هوءلاء الكهان الذين يرعونك بالتربية ويتاجرون بسمك وثمارك؟

« نكذب العقل في تصديق كاذبهم والعقل أولى باكرام وتصديق »

اولئك الذين يتاجرون بتفاح سدوم يفسدون في الناس عقيدة الايمان الحقة . الايمان سر القوى البشرية من عقلية وروحية وادبية . الايمان الحي الصادق يحرك صاحبه الى المفاداة بالنفس والنفيس في سبيل الحق والشرف

والعدل والحب والمجد والعلى . وفي سبيل العلوم التي تحبب هذه الفضائل الى الناس . وفي سبيل الفنون التي تحيي فيها صورة الكمال . قديماً كان النبي الكاتب الشاعر في الناس . وما كان ليتهيب الموت اذا اعترضه في سبيله. فيسجل كلمته عَلَى اعداء الحق بل اعداء الله ولسان حاله يقول عَلَى الدنيا السلام . فاين شبه الانبياء في ادباء هذا الزمان وشعرائه . تراهم يتزلفون الى ذوي السيادة ويصانعون صوناً لمصلحة او جراً لمغنم . اما الايمان فميت في صدورهم . فالاديب الذي يفادي بسعادته في سبيل ادبه . والسياسي الذي يفادي بمنصبه في سبيل وطنه . والعالم الذي يفادي بحياته في سبيل عمله . ان هوءلاء وان عُدوا من الكافرين لمن اجمل الناس ورعاً واصحهم اعتقاداً واصدقهم ديناً . ذلك لان ايمانهم بالله وبالحري بما في النفس البشرية من القوى الالهية الكامنة لحي صادق مجيد . اتمجد الله يا هذا . كن عادلاً محباً منصفاً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر عاملاً في تحقيق امل واحد من آمال النفس السامية . فان في اقتدائك بالمقربين منه تعالى تمجيداً كافياً لاسمه .

٦

عقائد في الشرق واضاليل تفسد العقول والاخلاق فما الذي يصلحها ؟

لا اقول قول منتسكيو ان عَلَى الحاكم ان يستخدم القانون لينبه من انامهم الدين او بالحري الاعتقادات الدينية الباطلة التي تعزو الاشياء كبيرها وصغيرها الى قضاء لا يرد ، فالعقائد الفاسدة لا تزيلها غير العقائد السليمة . والقانون

لا يجرأ على اقتلاع شجرة الخرافة من اصولها لان ذوي المصلحة الذين يتاجرون بسحرها وثمارها كثيرون . فالعلم الصحيح وحده ينبه من خدَّرته التقاليد والخرافات . وينعش منه النفس والجسد . اما القوانين والاحكام فتعجز عن اصلاح ما افسدته من الاخلاق .

ان عصرنا لهو عصر البحث والنقض والتمحيص . واذا كانت لا تسود هذه الروح روح الزمان الراقية في آدابنا واديانا وسياساتنا واجتماعياتنا لا تصطلح اخلاقنا ابداً ولا تفك قيود العقل والنفس فينا .

في كل الفلسفات الادبية القديمة والحديثة ما وجدت اصلح من فلسفة الرواقيين واسمى . منشئها زينون اليوناني . فان فيها من المنبهات العقلية والمقويات الروحية ما لا نجده صافياً في الحقائق التي نلقنها اليوم . فلسفة الرواقيين تعلمنا الواجب الذي لا يتعدى العمل به اللازم المفيد . وتعلمنا الصبر على الشدائد وعظم الهمة . وتعلمنا ان ننظر الى السرور والحزن بعين هادئة وقلب مطمئن . وتشدد العزيمة فينا فتحصن النفس من طوارىء الدهر وتعدها لنوائب الزمان . وتحبب الينا الفضيلة حباً بها لا حباً بجنات تجري من تحتها الانهار . لمذهب الفيلسوف زينون الفضل الاكبر في عظمة رومية وبأس ابنائها . بل هو مهد رجالها العظام من قادة وسياسيين وفلاسفة وقياصرة . لو حكم عليَّ بالتمذهب لما اخترت غير الرواقية مذهباً

لا انكر ان ماضي الشرق غنيٌّ بالنوابغ العظام . بالذين تفردوا ذكاءً وروحاً واخلاقاً فنظموا الشعر واخترعوا الشرائع ووضعوا التعاليم فكانوا

اعلاماً يهتدي الناس بها . ولكن المعلمين منبهون مرشدون . والانبياء الى الطرق القويمة هادون . على ان « الانسان لم يُخلق ليقاد بالزمام » بل فطر على ان يهتدي بمصابيح العلم والحرية فالعلم ينير الحوادث ودلائلها والحرية تمكنه من الاستفادة بها فكراً وعملاً .

ان في كل قوم حكمة ولكل زمان سياسة وفي كل حال تدبيراً يبطل الاخير منها السابق لها . ان تعاليم كنفوشيوس السياسية تغاير الشرائع الدستورية التي تأسست عليها اليوم جمهورية الصين . وفلسفة بوذا الاجتماعية والدينية تتقوض في ظل الاحكام الانكليزية .

وان ما انزل على نبي العرب لاصلاح حال العرب ورفع شأنهم اكثره لا يصلح اليوم لاصلاح شؤون امم كبيرة لا يستطيعون ان يعيشوا كالبدو في بيوت من الشعر .

وفي الشرقيين من ادركوا هذا من عظم خلقهم وكبر قصدهم وبعدت همتهم . واننا لنرى شيئاً من هذا الادراك السامي حتى في المتفردين بالتوحش من الفاتحين . رجل رجلاه في الدم وفي رأسه شيء من السماء نظر الى السماء وقال — اذا كان الله في كل مكان لِمَ لا نعبده في اي مكان كان . ففي اشواك نفس جنكزخان الذي هدم الجوامع واعتنق الاسلام وردة جميلة من ورد الحقيقة السامية . وان كلمته لتذكرني بما اخبرناه القديس اوغسطينوس عن ڤكتورينوس العالم الوثني الشهير في زمانه فانه اخبر احد اصحابه يوماً انه اهتدى الى الدين المسيحي فقال صاحبه لا اصدق حتى اراك في الكنيسة .

فقال فكتورينوس وهل الجدران تجعل المرء مسيحياً · الحقيقة تتجلى في الاحايين للبربري تجليها للفيلسوف ·

وانا لنجد في الشرق اليوم في اي مدينة كانت اناساً تساموا عقلاً وخلقاً ولكن خاصة اخلاقهم لازمة غير متعدية ·

بين ان الغربيين اذا سمت اخلاقهم صحت منهم العزيمة وبعدُ القصد فيعملون بما اوتوا من المواهب لخير الناس · واننا لنرى هذا الفرق في حكمتنا وحكمتهم كما قلت · وازيدكم من ذلك مثالاً · جاء في بعض الكتب ان الرجل الفاضل الرشيد لا ينبغي ان يُرى الا في مكانين اما مع الملوك مكرماً واما مع النساك متعبداً · هذه حكمة الشرق · انما الفاضل الرشيد من لا يُرى لا مع الملوك مكرماً ولا مع النساك متعبداً بل في معمعان الحياة عاملاً · هذه حكمة الغرب · فالزهد والانقطاع عن الدنيا كالاخلاد الى نعيم العيش كلاهما يورث الخمول والخبال · واذا سلمت عواقبه فلا يربي في صاحبه غير الفضائل اللازمة او السلبية · وهاكم قصة تمثل ما اريد

التقيت مرة في الطريق عَلَى شاطىء البحر بدرويش اسمه الشيخ عبدالله وهو من السالكين طريقته مولوية · فاخبرني انه وصل الى سوريا منذ خمسة عشر يوماً قادماً من الحجاز ماشياً وقضى في الطريق خمس عشرة سنة · واخبرني انه جاء سوريا ليزور فيها قبر احد الاولياء في نواحي طرابلس

« تركت ضياء الشمس يهديك نورها   وتبعت في الظلماء لمحة بارق »

عَلَى انه بان لي بعد ان حدثته في طريقته واحواله — ولي نزعة الى استطلاع

اخبار هوءلاء الدراويش — ان الحاج عبدالله عَلَى شيء من العلم وانه في سلوكه وقنوته لمن الصادقين · ولم يطلب مثل اكثر اخوانه صدقة لوجه الله · ولكنني عند مصافحتي اياه مودعاً وضعت في يدٍ قطعة من نحاس هذه الدولة فقبلها شاكراً · وسرت في طريقي اتأمل من جاء ماشياً من الحجاز — وقضى خمس عشرة سنة في الطريق — ليزور قبر ولي من الاولياء

« أرسلت غربك تبغي الماء مجتهداً   وما علا الغرب لما خانك المرس »

وكنت وصديق لي نقصد يومئذٍ عمشيت لنزور فيها قبر ولية من وليات البر والحجى هي هنريت رنان اخت الفيلسوف الافرنسي الشهير · فكنا والحاج عبدالله سويين من هذا القبيل لكلانا مزار تحركنا اليه عاطفة الورع والتقوى · ولكن هذا غير ما ابتغي من القصة · في اليوم الثاني ونحن عائدون الى بيروت — وكانت السماء يومئذٍ ماطرة — تراءى لنا خيال اسود عَلَى حجر الى جانب الطريق فاقتربنا منه واذا به الحاج عبدالله يستريح تحت المطر من عناء السفر — وهوءلاء الدراويش لا يخافون الزوابع والرياح — فحدثناه ثانية وقدم اليه رفيقي شيئاً من المال — وهذه النكتة — فرفضه قائلاً — « لم يزل معي والحمد لله مما تفضلتم به البارحة » · القناعة كنز لا يفنى ولكنه كنز لا يعمر البلاد ·

خُلق الحاج عبدالله ما يسمونه في لغة المتصوفين خلقاً عظيماً لانه اعرض عن العالم واقبل بكليته عَلَى الله تعالى · ولا اظنكم تجهلون ما في هذه الطريقة طريقة السالكين والنساك من تعطيل الحواس الظاهرة والكفران بالذات ·

وان السالك ليقتل ارادته ويخلد الى السكون الذي يولد الخمول والكسل · وفي الهند عند البراهمة غرائب من اساليب الكسل والخمول · عقيدة البوذي مثل عقيدة المتصوفين في نتائجها وفي بعض اصولها · والغاية القصوى منها اتحاد المرء والمبدأ الاولي الدائم مبدأ اللاشيء اي العدم الازلي · فالبوذي يغمض طرفه ويقول — انني جزء من هذا اللاشيء الازلي اللانهاية له · وفي قتلي الارادة واستئصالي الرغائب والامال الدنيوية من صدري افوز عَلَى النفس فيتم اتحادي بالظلمة الازلية الابدية · وهي تدعى عندهم «نرڤانا» والمتصوف يدعوها جمع الجمع اي العزة الالهية واذا سئل البوذي ما هي « نرڤانا » · اجاب — اني حين اغمض طرفي واعود الى نفسي مردداً أم أم اظفر بها · أم أم ! — الله الله ! قد يُسعد النسك صاحبه ولكنه يخرب العالم

مثل هذه العقائد اصولها في اوحال العادات والخرافات وفروعها في سماء النظريات والاوهام لا تربي في المرء اخلاقاً سامية مجيدة · يتعدى خيرها ولا يلازم صاحبها وينحصر فيه · ومن سخيف تقاليدها مثلاً ما نراه متبعاً عند البراهمة فعلى البرهمي ألاَّ ينظر الى الشمس عند شروقها وغروبها · ولا يطأ حبلاً رُبطت به بقرة ولا ينظر الى امرأته حين تأكل او تعطس او تتثاءب · ولا يلبس لطعام الظهر غير ثوب واحد · ولا يستحم عرياناً · وغيرها من آداب السلوك المستغربة المضحكة · حتى انه في ازالة الضرورة نراه مقيداً بخرافات بوذية · فقد حُظر عَلَى البرهمي ان يزيل ضرورة عَلَى الرماد او في حقل مفلوح او عَلَى ربوة خضراء او عَلَى وكر نمل ابيض : وغير

هذه من الاوهام التي ينزلونها منزلة النواميس الطبيعية بل الالهية · وهم مع ذلك اصحاب تجلة وكرامة محترمون في قومهم مؤلهون فلا غرو اذا كانوا متقاعدين متخاذلين خاملين لا يعملون عملاً مفيداً · الجلالة والوقار والكسل قلما ينفصل بعضها عن بعض · وكل امة يغلب في شعبها وهم الابهة والجلالة تستنيم الى الضعة · ويخمل منها الحس · ويكثر فيها الكسل ·

هؤلاء نساك الروح رهبان الشرق براهمة ومتصوفون يهربون من الحياة ويزدرونها · اما نساك العقل فاليكم خبرهم · في المغرب اليوم عصبة الفلاسفة المتفردين الذين يعرفون الاحكام ولكنهم لا يقرونها ولا يتعرضون لها مباشرة · يعيشون في حقولهم بعيدين عن ضجيج المدن والناس مستقلين مطمئنين لا يتطلبون شهرة ولا مجداً · يعيشون عَلَى الفطرة الاولى من الوجهة الجسدية وعَلَى ارفع ما اتصلت اليه العلوم والحكمة من الوجهة العقلية والروحية والمعنوية · ترى احدهم بدوياً في غرائزه وطباعه حضرياً في مزاجه واخلاقه · اميراً وفلاحاً في وقت واحد · وكثيرون من هؤلاء في الولايات المتحدة في البر لا في المدن · يعيشون في عزلة عن الناس كلٌّ في دائرته كالنجوم في حبكها وتشع انفسهم اشعة الالفة الحقيقية التي تربط كل دائرة باختها · ولكل منهم مهنتان سماوية نسكية قوامها الآية — « عَلَى الارض السلام وبالناس المسرة » ومهنة دنيوية زراعية قوامها الفكر والعمل · فيحرث احدهم الارض ويربي المواشي « ويقطر عربة افكاره بالكواكب السيارة » كما قال امرسون

وقد زرت احد هوءلاء الكبار مرة في بيته فلقيته عند وصولي قدام باب الاصطبل حاملاً جراب قمح يطعم منه الدجاج . وبعد ايام دعيت الى مأدبة في المدينة جمعت من رجال العلم والادب اشهرهم هناك وكان صديقي هذا رئيسها وقطب دائرتها . فتأملوا هوءلاء النساك نساك العقل . نساك الفلسفة. لا ينكفون عن العمل المفيد مهما كان زرياً ولا تأخذهم اوهام الابهة وخزعبلات الوقار والجلالة . وقد لا تعجبكم اخلاقهم او بالحري سلوكهم . فهم لا يحفلون بما لقنّاه في الشرق من المجاملة والمصانعة في الضيافة . ولا يحسنون من اللطف الشرقي الالف باء . ولكن صدقاً في اقوالهم . وحرية في اعمالهم. وجرأة في حريتهم . تقربهم الى الفطرة البشرية الاولى التي لا تعرف القهر والضغط فيسترسلون مع الطباع ولكنهم يستعملون في ذلك الفكرة والتمييز. والفطرة الاولى اقرب الى الخير على ما فيها من غلاظة وسماجة لبعدها عما ينطبع في نفوس اهل المدن من سوء الملكات وقبيح العادات وفاسد الاصطلاحات وهذا ما يحمل ذوي الالباب والحصافة اليوم الى السكنى في القرى او التنسك في البرية .

ذلك مبلغ نساك العلم والادب . وتلكم طريقتهم النسكية الفلسفية . ناسك الروح يعطل الحواس منه لوهم فيه ان ذلك يقربه من ربه . وناسك العقل يهذبها ويرعاها ابداً بالتربية ليقترب من نفسه فيعرفها . شعاره بساطة العيش مع سمو الادب . فيقرن لذة الحراثة بلذة التأمل ولذة التأمل بلذة العمل . ناسك الروح يبعد عن الناس ليقترب من الله . وناسك العقل يعتزل

الناس ليقترب حقاً من الناس فيعيش طبق فلسفته وبموجب علمه فيصير اهلاً لان يخدم الناس وينفعهم . فما قولكم بالناسكين ناسكنا وناسكهم واي منهما اقرب الى الله .

وها كم مثالاً آخر من اخلاقنا الكريمة التي قلما تفيد . في لبنان يكثر الشحاذون ومنهم نساء من العرب يستعطين ليعيّشن اولادهن ورجالهن ! ومن هوءلاء البائسات بدويتان استوقفتاني يوماً فادهشني امرهما . بعد ان جاءتهما الخادمة بشيء من الدقيق جلستا على الدرج قدام الباب وفتحت كل جرابها . فاخذت البدوية الصغيرة واسمها حسنى تفرغ من جرابها الملآن في جراب رفيقتها الفارغ . فسألتها السبب في ذلك . فقالت -- هي ضرتي يا سيدي ورجلنا يوءثرني عليها ويضربها ضرباً أليماً اذا عادت المساء وجرابها فارغ فاشاطرها ما معي لارد عنها الضرب . فعجبت لكرم اخلاقها ولكني اسفت لما ربيت عليه من الذلة والاستكانة والاستسلام . فهي لا تستطيع ردع زوجها المتوحش الا بهذه الحيلة الجميلة . ولو حاولت ردعه ساعة غيظه لضربها ايضاً . حبذا شهامة مقرونة بالقوة والعصيان . لحم الضبع يلزم له اسنان الكلب . وانه ليحق لمثل هذه المرأة ان تهجر زوجها ولباركها الله لو فعلت . ولكن زوجها ممن يدينون بدين يأمر بضرب النساء

وها كم قصة اخرى تمثل ما اريده بالاخلاق اللازمة والمتعدية . مرّ اعرابي بعجوز فطلب منها طعاماً . فجاءته ببضع حيّات مشوية وبكوز من الماء المالح فاستغرب ذلك وسألها السبب . فقالت هذا كل ما عندنا في هذا

الوادي . فتعجب الاعرابي وسأل العجوز كيف تقيم هناك تأكل الحيات وتشرب الماء المالح . فقالت وكيف تكون بلادكم . فوصف لها بلاداً فيها دور رحبة واسعة وثمار يانعة لذيذة ومياه غزيرة عذبة . فقالت العجوز — وهل يكون لكم من سلطان يحكم عليكم ويجور في حكمه . فقال الاعرابي — قد يكون ذلك . فقالت آكلة الحيات — اذاً والله يكون ذلك الطعام اللطيف والعيش الظريف مع الجور والظلم سماً ناقعاً وتعود اطعمتنا مع الامن درياقاً نافعاً . حكمة العجوز بليغة وجميل إباء نفسها . ولكن ذلك لا يردع السلطان عن غيه ولا يكبحه عن جوره وظلمه .

اجل ان قناعة الحاج عبدالله وشهامة البدوية حسنى وعزة نفس العجوز آكلة الحيات لفضائل كلها جميلة ولكنها سلبية ملازمة . شريفة اخلاقهم روحية . ولكن شيئاً كهربائياً لينقصها . مثل هذه الاخلاق في الشرقي لا تؤهله لمناهضة الظلم والظالمين لانها غير مقرونة بادراك النفس ما لها من الحقوق وما عليها . وقد يصح ان نقول ان في مثل هذه الاخلاق الشريفة نوراً وليس فيها دم . الشرقي يهرب من الظلم معتصماً بالله — « لا تجعل سلاحك عَلَى من ظلمك الدعاء عليه ولكن الثقة بالله » . فالهرب الى البرية من الظالم جبانة . والهرب الى الله من الحياة كفران بالحياة وباريها . نفس الحاج عبدالله جميلة ولكنها ضالة . ونفس العجوز أبية ولكنها مستسلمة . ونفس حسنى البدوية كريمة ولكنها خامدة خاملة . فحيلتها لا تزيل شراسة الخلق في زوجها . وكان ينبغي لها ان تتفق وضرتها لتهجرا مثل هذا البربري .

فان خفاشاً في كهف لخير منه

اقول وحقاً ما اقول ان الشرقي يظل شرقياً قاعد الهمة . عاجز الرأي . خامد الطباع . متخاذلاً مستسلماً . قانعاً من زمانه بالضعة والذل . اذا كان لا ينفض عن نفسه غبار السنين من الكسل والخمول ولا يكسر قيوداً من التقاليد والخرافات والعادات قيدت منه العقل والنفس والجسد .

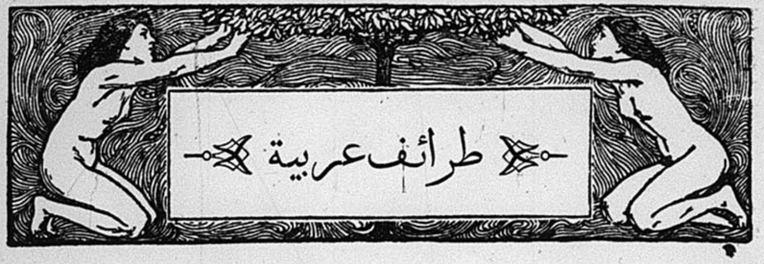
الانسان الذي خلقه الله عَلَى صورته تعالى ومثاله اذا تقيد في كل اعماله واقواله وافكاره لا يبقى فيه شيء من صنعة الله حر جميل . الفكر انهضوا به من قبور التقاليد . النفس حرروها من خزعبلات الاوهام . الجامعة ارفعوها عَلَى الحكومة والحكام . الاخلاق روضوها للعمل المفيد . ان اخلاقنا الروحية لرأس مال كبير في حياتنا الجديدة . علينا اذاً ان نستخدمه لخيرنا وخير الشرق بل لخير الناس اجمعين . وان من لا يرجو من هذه الحياة خيراً لهو غالباً ممن لا يستأهلون الخير ولا ينالونه . كلمات اليأس لا يزيل تردادها اليأس . التأوه والانين لا يصلحان الشؤون بل يوهنان القوى ويورثان الخبال . لنعوّد انفسنا ترداد كلمات الامل والرجاء . فانها وان كانت مبنية عَلَى وهم مستحب او فكرة طائشة لتعودنا في الاقل العمل . وتوقظ فينا النشاط . وتشحذ منا الارادة . ان املاً اردده في نفسي كل يوم لا يلبث ان يملكها فيدفعني الى العمل لتحقيقه . المريض لا يشفيه الانين . والشقوة لا يزيلها الاستسلام الى الاقدار . لتبرهن خطتنا في امور الدنيا والاخرة عَلَى عقلنا . ولتبرهن قوتنا عَلَى خطتنا . ولتبرهن اعمالنا عَلَى هذه القوة فينا .

وحبذا الشرقيون والغربيون لو اخذ بعضهم عن بعض مما هو جميل في اديانهم· صحيح في آدابهم · سامٍ في فنونهم · سليم في عاداتهم · سديد في عقائدهم· عادل في احكامهم وشرائعهم · فالحق يقال ان خلاصة آداب الشرق والغرب بل خير ما في الاثنين ممزوجاً موحداً انما هو الدواء الوحيد لامراض هذا الزمان الاجتماعية والدينية والسياسية · فالغربي عندئذٍ يعود الى الله والشرقي يرفع عنه تعالى بعض اثقاله

امين الريحاني



قال روسو --- اول كلمة نطق بها الانسان كانت موجهة الى الامرأة اذ قال لها « حبيتي » · ولكن رأي روسو غير معقول · فلقد كانت حياة الانسان في القديم محفوفة بالمخاطر بين الآفات والمهالك فلم يكن له وقت للافتكار بالحب · ولذلك يرجح ان اول كلمة نطق بها كانت موجهة الى قريبه · اذ قال له مستغيثاً — « ساعدني »



« أفضل ما في الكون »

لما جلس احد ملوك العرب القدماء عَلَى سرير الملك بعد وفاة ابيه جمع العلماء والحكماء في مملكته وألقى عليهم هذه المسألة — ما أحسن الاشياء في الدنيا ؟

فشرع كلٌ منهم يشير الى شيء · فلم يستصوب الملك شيئاً مما قالوه · وكان بينهم عالم أريب فريد عصره · فقال — ايها الملك ، ليس في الدنيا أفضل من ثلاثة اشياء ·

فقال الملك — وما هي ؟

فقال الحكيم — اولها الموت ، والثاني النساء ، والثالث الاحتياج ·

فقال الملك — ليس في الدنيا شيء أقبح من هذه الثلاثة ، فبأي دليل فضلتها عَلَى سواها ·

فقال الحكيم — انما قلتُ ان الموت من أحسن الاشياء لانه لولا الموت لما نلتَ هذه المملكة ولو لم يمت ابوك لما جلستَ عَلَى هذا العرش.

قال — صدقت ·

فقال الحكيم — وانما قلت ان النساء من أحسن الاشياء لانه لو لم تكن النساء لما كنت موجوداً ·

فقال الملك — صدقت ·

فقال الحكيم — وانما قلت ان الاحتياج من أحسن الاشياء لانه لو لم يكن الاحتياج لما كان كل عالم فاضل يخدمك ، ولما انقادت اليك العساكر

فقال الملك — صدقت · ثم انعم عليه وأكرمه اكراماً يستحقه ·

لاجديد تحت الشمس

دخل مسلم بن يزيد عَلَى عبد الملك بن هرون · فقال له عبد الملك — أي زمان ادركت أفضل ، وأي الملوك أكمل ؟ فقال — اما الملوك فلم أرَ الا حامداً أو ذاماً ، واما الزمان فيرفع اقواماً ويضع اقواماً وكلهم يذم زمانه لانه يبلي جديدهم ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم

الجمال عند العرب

قالت العرب — يستحسن في المرأة طول اربعة — وهي اطرافها وقامتها وشعرها وعنقها ·

وقصر اربعة — يديها ورجليها ولسانها وعينيها (والمراد بهذا القصر المعنوي اي انها لا تبذر مال زوجها ، ولا تخرج من بيتها ، ولا تستطيل لسانها ، ولا تطمح بعينيها)

وبياض اربعة — لونها وفرقها وثغرها وبياض عينيها

وسواد اربعة — اهدابها وحاجبها وعينها وشعرها

وحمرة اربعة — لسانها وخدها وشفتيها ·

وسعة اربعة — جبهتها وجبينها وعينها وصدرها ·

وصغر اربعة — فمها ومنخرها ومنفذ اذنيها وقدمها ·

الهوى العذري

قيل يوماً لعذري — ما لاحدكم يموت عشقاً في هوى امرأة يألفها · أليس ذلك ضعف نفس ورقة وخور فيكم يا بني عذرة ؛

فقال — والله لو رأيتم المحاجر البلج ترشق بالعيون الدعج من تحت الحواجب الزج والشفاه السمر تبسم عن الثنايا الغر كأنها شذر الدر لجعلتموها اللات والعزى وتركتم الدين وراء ظهوركم

البلاغة عند اهل الصناعة

تجمع قوم من اهل الصناعات فوصفوا بلاغاتهم من طريق صناعاتهم ·

قال الجوهري — أحسن الكلام نظاماً ما ثقبته يد الفكرة ونظمته الفطنة ووصل جوهر معانيه في سموط ألفاظه فاحتملته نحور الرواة

وقال العطار — أطيب الكلام ما عجن عنبر ألفاظه بمسك معانيه ففاح نسيم نشقه وسطعت رائحة عبقه فتعلقت به الرواة وتعطرت به السراة

وقال الصائغ — خير الكلام ما أحميته بكير الفكر وسبكته بمشاعل النظر وخلصته من خبث الاطناب فبرز بروز الابريز في معنى وجيز

وقال الصيرفي — خير الكلام ما نقدته يد البصيرة وجلته عين الروية ووزنته بمعيار الفصاحة ، فلا نظر يزيفه ولا سماع يبهرجه

وقال الحداد — أحسن الكلام ما نصبت عليه منفخة القريحة وأشعلت عليه نار البصيرة ثم أخرجته من فحم الافحام ورققته بفطيس الافهام

وقال النجار — خير الكلام ما احكمت نجر معناه بقدوم التقدير ونشرته بمنشار التدبير فصار بابًا لبيت البيان وعارضةً لسقف اللسان

وقال النجاد — احسن الكلام ما نطقت ألفاظه وحسنت مطارح معانيه فتنزهت في زربي محاسنه عيون الناظرين واصاخت لنمارق بهجته آذان السامعين ·

وقال الماتح — أبين الكلام ما علقت وذم ألفاظه بكرة معانيه ثم ارسلته في قليب الفطن فامتحت به سقاء يكشف الشبهات واستنبطت به معنى يروي من ظمأ المشكلات ·

وقال الصباغ — أحسن الكلام ما لم تنض بهجة ايجازه ولم تكشف صبغة اعجازه · قد صقلته يد الروية من كمود الاشكال فراع كواعب الاداب وألف عذار الالباب ·

وقال الحائك — احسن الكلام ما اتصلت لحمة ألفاظه بسدى معانيه فخرج مفوفاً منيراً وموشى محبرا ·

وقال الجمَّال — البليغ من أخذ بخطام كلامه فأناخه في مبرك المعنى

ثم جعل الاختصار له عقالاً والايجاز له مجالاً فلم يند عن الاذان ولم يشذ عن الاذهان ·

وقال الخمار — ابلغ الكلام ما طبخته مراجل العلم وصفاه راووق الفهم وضمته دنان الحكمة فتمشت في المفاصل عذوبته وفي الافكار رقته وفي العقول حدته ·

وقال الطبيب — خير الكلام ما اذا باشر دواء بيانه سقم الشبهة استطلقت طبيعة الغباوة فشفي من سوء الفهم وأورث صحة التفهم ·

وقال الكحال — كما ان الرمد قذى الابصار فكذا الشبهة قذى البصائر فاكحل عين اللكنة بميل البلاغة واجلُ رمص الغفلة ببرود اليقظة ،

العلم والمال

قيل للخليل بن أحمد — ايهما افضل العلم أو المال · فقال — العلم فقيل له — فما بال العلماء يزدحمون عَلَى ابواب الملوك ، والملوك لا يزدحمون عَلَى ابواب العلماء ؟ قال — ذلك لمعرفة العلماء بحق الملوك وجهل الملوك بحق العلماء ·

طبقات الناس

قال خالد بن صفوان — الناس ثلاث طبقات — طبقة علماء ، وطبقة خطباء ، وطبقة ادباء ، ورجرجة بين ذلك يغلون الاسعار ويضيقون الاسواق ويكدرون المياه ·

﴿ الندماء ﴾

سُئل اسحق الموصلي عن عدد الندماء فقال —

واحد غم ، واثنان هم ، وثلاثة نظام ، واربعة تمام ، وخمسة زحام ، وستة حمام ، وسبعة موكب ، وثمانية سوق ، وتسعة جيش ، وعشرة نعوذ بالله منهم .

﴿ عيون المهى ... ﴾

قال اسحق بن سهيل — رأيت رجلاً في طريق مكة وعديله في المحمل جارية قد شدّ عينيها بعصابة وكشف سائر وجهها وبعض جسمها . فقلت له في ذلك فقال — انما اخاف عينيها لا عيون الناس .

﴿ الوليد بن يزيد وابن شراعة ﴾

دعا الخليفة الوليد بن يزيد الاموي بابن شراعة . فحمل اليه من الكوفة فما سأله عن نفسه ولا عن مسيره حتى قال له

— يا ابن شراعة ، انا والله ما ابعث اليك لاسألك عن كتاب الله وسنّة رسوله .

فقال — والله لو سألتني عنهما لوجدتني فيهما حماراً

فقال الوليد — انما ارسلت اليك لاسألك عن القهوة

قال — دهقانها الخبير ، ولقمانها الحكيم ، وطبيبها العليم .

فقال الوليد — اخبرني عن الشراب

قال — يسأل امير المؤمنين عما بدا له

قال — ما تقول في الماء ؟

قال — لا بدّ لي منه . والحمار شريكي فيه .

قال — ما تقول في اللبن ؟

قال — ما رأيته قط الا استحييت من امي لطول ما ارضعتني به

قال — ما تقول في السويق ؟

قال — شراب الحزين والمستعجل والمريض

قال — فنبيذ التمر ؟

قال — سريع الامتلاء سريع الانفشاش .

قال — فنبيذ الزبيب ؟

قال — حاموا به عَلَى الشراب .

قال — فما تقول في الخمر ؟

قال — اواه تلك صديقة روحي .

فقال الوليد — وانت والله اذن صديق روحي .

﴿ سياحة الخضر الخالد ﴾

سئل الخضر عن اعجب شيء رآه في الدنيا في طول حياته وكثرة خلواته وقطعه القفار والفلوات فقال

— « أعجب ما رأيته اني مررت عَلَى مدينة لم أرَ عَلَى وجه الارض

أحسن منها . فسألت بعضهم — متى بنيت هذه المدينة ؟ فقالوا — سبحان الله ! ما يذكر اباوءنا ولا اجدادنا متى بنيت هذه المدينة وما زالت كذلك من عهد الطوفان .

ثم غبت عنها نحواً من خمسمئة عام وعبرت عليها بعد ذلك واذا هي خاوية ولم أرَ احداً اسأله . واذا رعاة غنم فدنوت منهم وقلت — اين المدينة التي كانت ههنا ؟ فقالوا — سبحان الله ! ما يدرك اباوءنا ولا اجدادنا انه قط كانت ههنا مدينة .

فغبت عنها نحواً من خمسمئة عام ثم انتهيت اليها فاذا موضع تلك المدينة بحر . واذا غواصون يخرجون منه شبه الحلية . فقلت لبعض الغواصين — منذ كم هذا البحر ههنا ؟ فقال — سبحان الله ! ما يدرك اباوءنا واجدادنا الا ان هذا البحر هنا منذ بعث الله الطوفان .

ثم غبت عنها نحواً من خمسمئة عام . ثم انتهيت اليها . واذا ذاك البحر قد غاض ماوءه . واذا مكانه غيضة ملتفة بالقصب والبردي والسباع . واذا صيادون يصيدون السمك في زوارق صغار . فقلت لبعضهم — اين البحر الذي كان ههنا ؟ فقال — سبحان الله ! ما يذكر اباوءنا واجدادنا انه كان ههنا بحر قط .

فغبت عنها نحواً من خمسمائة عام ثم اتيت الى ذلك المكان فاذا هو مدينة عَلَى حالها الاولى والحصون والقصور والاسواق قائمة . فقلت لبعضهم — اين الغيضة التي كانت ههنا ، ومتى بنيت هذه المدينة ؟ فقال — سبحان

الله ! ما يذكر احد الا ان هذه المدينة عَلَى حالها منذ بعث الله الطوفان .

فغبت عنها نحواً من خمسمئة عام . ثم انتهيت اليها . فاذا عاليها سافلها وهي تدخن بدخان شديد . فلم أرَ احداً اسأله . ثم رأيت راعياً فسألته — اين المدينة التي كانت ههنا ، ومتى حدث هذا الدخان ؟ فقال — سبحان الله ! ما يذكر اباوءنا ولا اجدادنا الا ان هذا الموضع كان كذا منذ كان

فهذا اعجب شيء رأيته في سياحتي في الدنيا » (١)

* * * * *

بلغ ابن المقفع ان جاراً له سيبيع داره لوفاء دين ركبه ، وكان يجلس في ظل داره . فقال — ما قمت اذن بحرمة ظل داره ان باعها معدماً . فدفع اليه ثمن الدار وقال — لا تبعها .

سُئل أحد الاعراب — لماذا مات اخوك ؟ فقال — لانه عاش

وسُئل أحد الصعاليك — ماذا اعددت لزمن البرد ؟ فقال — تكتكة الاسنان والارتعاش

قال خالد بن صفوان لاياس بن معاوية — اراك لا تبالي ما لبست . فقال — أن ألبس ثوباً أقي به نفسي أحب اليَّ من ثوب أقيه بنفسي

(١) من اغرب ما وقع لنا في مطالعاتنا إنا عثرنا عَلَى قصيدة المانية اسمها « الخضر » للشاعر ربوكرت الالماني فعربناها ونشرناها في الفنون في السنة الماضية . وبينا نطالع احد الكتب العربية القديمة منذ ايام عثرنا عَلَى هذه القطعة التي نقلناها اليوم . واذا بها كالقصيدة التي عربناها . فكأن الشاعر الالماني نقلها الى لغته حرفاً بحرف . فعجبنا لهذه الاغارة على ادب العرب دون اشارة الى مصدر او اقرار بفضل

فكاهات

— حتى النهاية —

اصيبت السفينة بقذيفة غواصة فتحت فيها ثغرة واسعة فشرعت تغرق · فاستحوذ اليأس علَى ركابها وفي جملتهم سولومون اسحق · وكان قد اشترى قبيل سفره ساعة ذهبية ثمينة فكبر عليه ان يخسرها

وبينا كل يفكر بانقاذ نفسه اقبل سولومون علَى القبطان وقال له

— أصحيح انه لا أمل لنا بالنجاة ؟

— يسوءني ان اوءكد لك ذلك ·

— اذن اعرني سمعك ايها القبطان · هاك لقطة نادرة لا تظفر بها الا مرة في العمر · ألا تود ان تشتري مني هذه الساعة الذهبية مع سلسلتها بأقل من رأس مالها ؟

. . . . .

تحاور جماعة من العمال في بعض امور السياسة واختلفوا في الامر اختلافاً بيناً حتى لم يتمكن احدهم من اقناع الاخر بصحة رأيه · وبينا هم في اشد درجات التحمس التفت احدهم الى صاحب له في القوم ساكت لا

ينبس ببنت شفة وقال له

— وانت ما رأيك يا صاح · ألا توافق علَى ان الحق بجانبي ·

فاجابه ذلك عابساً — لست لاقول لك رأيي · فقد تباحثت وصديقي حنا في هذا الامر قبلاً ·

— وهل توصلتم الى نتيجة ؟

— نعم · هو توصل الى المستشفى · وانا — الى السجن

— المهارة في الكلام —

البائع — سيدتي ، اود ان اعرض عليك نوعاً جديداً من الصابون ...

السيدة — لا حاجة لي به ·

البائع — هو صابون رخيص الثمن يكلف أقل من سواه بكثير ...

السيدة — لا اريده ·

البائع — وفعله في التنظيف يوازي ضعف فعل اي صابون كان...

السيدة — قلت لك لا اريد ان اشتري اليوم ·

البائع — وهو ينعم البشرة وينقي لونها ويعيد رونق الوجه وجماله

السيدة — كم سعره ؟ اعطني منه !

— اين المساواة ؟ —

تظلم أحدهم — ومهنته سائق عربة — الى رئيسه مما يقاسيه من سوء المعاملة فقال

— انا وهذا الحصان نخدمكم يا سيدي منذ سبع عشرة سنة ·

فتنحنح الرئيس وقال — وعساكما مسروران من معاملتنا .

فوجم السائق هنيهة ثم قال

— انا والحصان مرضنا في الاسبوع الماضي . اما الحصان فاحضرتم له طبيباً عَلَى حسابكم واعتنيتم به واطعمتموه علفاً طيباً . واما انا فلم تكن معي أجرة طبيب . وعلاوة عَلَى ذلك حسمتم عليَّ اجرة الاسبوع .

*****

شكا احد الاعراب الى طبيب وجع بطنه . فقال له ما الذي اكلت — قال اكلت رغيفاً محترقاً . فدعا الطبيب بذرور ليكحله . فقال الرجل — انما اشتكي وجع بطني لا عيني . فقال له الطبيب — قد عرفت ذلك . ولكن اكحلك لتبصر المحترق فلا تأكله .

*****

— قبل الزواج وبعده —

— حبيبي ، ما اضعف نور النجوم الليلة ! فاجابها الشاب وقد ضغط يدها مشغوفاً

— ذلك لان نور عينيك اشد تألقاً منها .

ولكن ذلك كان قبل الزواج ...

— عزيزي ، كم قامةً يا ترى بيننا وبين النجوم ؟

— كفاكِ هذراً يا هذه . اراكِ لا تنفكين عن الهرف بما لا تعرفين وخيرٌ لكِ لو صمتِ بتاتاً او تكلمتِ بما يُعقل

القارىء لا شك يدري ان هذا الحديث كان بعد الزواج

— كنت ذاهباً لادفنه . فمن الفضاضة ان اتركه طعاماً للوحوش فقد كان سيداً من خيرة الاسياد.

فقال سرحت

— انا لقد دفنته . انما قل لي اتعرف ماحلَّ بامي واختي واخي ؟

— ميستو يعرف كل شيء . وهل فقد عقله ليجهل . اتريد ان اقص عليك ما حدث من الأول .

— لا لا . اود العجلة . أجب عَلَى سؤالاتي .

— سلني ما تشاء .

— متى قدم الاكراد ؟

— اتوا منذ يومين ليلاً والناس قد رقدوا . فهاجم قريتنا منهم نحو مائة فارس لا أكثر من ذلك . وتفرَّق الباقون في القرى المجاورة . عَلَى ان عشرة فرسان منهم تكفي لنهب قرية ارمنية بكاملها — ألا بربك قل لي يا سيدي — ما هذه الجبانة الغريبة في الارمن ! انها لخلة غير محمودة ، بل سيئة العواقب ... — ولما وصل الاكراد الى القرية تعالى الصراخ والعويل وأسقط في ايدي الجميع . فحطم المهاجمون الابواب ودخلوا الى البيوت . فطفقت اقول للارمن — « ويلكم من جبناء ! ألعلكم أصبحتم نساءً لتعجزوا عن المدافعة ! من ليس له سيف ورمح فليرمِ بالحجارة وليضرب بالعصي والفؤوس لطرد هؤلاء الكلاب » . ولكن — هيهات — لم يصغِ أحد لقولي . فاخذ الاكراد في الاول كل ما ارادوا ان يحملوه معهم من الامتعة

والنساء الفتيات . ثم جمعوا كل ما لم يروا فيه نفعاً كالشيوخ والاطفال ووضعوهم في البيوت واغلقوا الابواب عليهم والكوى واضرموا النار . ثم قتلوا سائر الرجال .

— ألم ينجُ أحد منهم

— كل الذين علموا بالامر من قبل هربوا الى الجبال . على ان كثيرين لم يعيروا اذناً صاغية للاشاعات ولم يصدقوا ان الاكراد سيقدمون على اتيان هذه الفظائع . اما شيخ القرية فأمر الجميع بالاخلاد الى السكينة وقال لهم لا تخشوا شراً . وقد قال الملعون ما قاله كذباً ونفاقاً .

— وماذا حلَّ ببيتنا ؟

— يوم الحادثة لم يكن والدك في البيت بل كان قد توجه الى باش قلعه . وقبيل ان يذهب دعا بي وقال لي — «أحرس بيتي يا ميستو حتى أعود» . فلبثت حارساً . ولما قدم الاكراد لم اكن نائماً او متغافلاً بل كنت مترقباً على السطح متسلحاً ببندقيتي . ولكن ماذا يستطيع ميستو ان يفعل وحده امام جيوش من الوحوش . ولو كان معي عشرة رجال فقط لما استطاع الانذال ان يدخلوا القرية . انما كنت وحيداً فلم أوذِ احداً منهم لاني أخبر بعاداتهم واعرف جيداً اني لو رفعت يدي على احدهم لما ابقوا على نسمة حية في القرية . ثم حاولت جهدي ان انقذ العائلة . اما الاموال والمقتنيات فقلت لنفسي دعهم يأخذونها لا بارك الله لهم فيها . فاخرجت من البيت امك واخاك واختيك غير مضيع دقيقة واحدة ، ولكني نسيت لحمقي ان

الطفل باقٍ في سريره داخل البيت . ولما علمت امك بالامر هتفت — طفلي ! طفلي ! وهرعت نحو المنزل . اما انا فلم ادرِ الى اي جهة أسرع . وخشيت ان غادرت أختيك لالحق بأمك ان يختطفهما الاكراد . فقلت لنفسي — الاولى ان اسير بهما الى مكان امين اولاً ثم اعود لانقاذ الام . وسرت باخيك واختيك الى مكان بعيد عن القرية واخفيتهما في حقل شعير . ثم عدت سراعاً الى البيت . ولما وصلت اذا بالمنزل كله محاط باللهيب . وامك المسكينة لم تسمع ندائي وتحذيري ولم تكترث باللهيب بل دخلت النار . وفي تلك الدقيقة سقط السقف فدُفنت تحت انقاضه

اصغى سرحت الى كل ما قاله ميستو مدهوشاً وقد صعقته النكبة فاصبح وجهه ابيض كالمرمر وارتجفت شفتاه الرقيقتان رجفة الحمى . انما لم تنحدر له دمعة . ثم سأل خادمه بصوت مضطرب

— لماذا ذهب والدي الى باش قلعه ؟

— لما بلغتنا الاشاعات عن الشيخ جلال الدين وأمره بقتل الكفار أجمعين حلَّ الرعب في كل القلوب واسقط في ايدي الجميع حتى لم يعد احد يعلم ماذا يعمل أو الى أين يهرب . حينئذٍ دعا والدك روساء القوم وكاهنين ومعلم المدرسة وذهب معهم الى باش قلعه قاصدين المدير ليطلبوا منه نجدة عسكرية لحماية القرية . فوعدهم المدير خيراً . ثم شرع يخاتلهم مماطلاً وموءجلاً ارسال المدد من يوم الى آخر حتى قدم الاكراد وفعلوا ما فعلوه ... ولما رأى والدك ومن معه من الرجال ان المدير يخدعهم قرروا

ان يعودوا من حيث اتوا وقد قطعوا كل أمل بالمدد . وكان الاكراد قد علموا بذهابهم الى المدير فأمسكوهم في الطريق وفعلوا بهم ما رأيته بعينك

— واين اختاي واخي الان ؟

سأل سرحت هذا السوءال وقد أوجس خيفة من ان يكونوا قد اصيبوا بويل كسواهم . فقال ميستو

— هم الآن في محل امين . فاني ذهبت بهم الى قبيلتي واودعتهم في خبائي عند زوجتي . ألا تعلم يا سرحت اني تزوجت . نعم ، وقد صار لي طفل من أجمل الاطفال . والدك ، رحمه الله ، زوجني . انتخب لي فتاة من خيرة الفتيات واعطاني مائة نعجة وقال — كفاك تخدمني يا ميستو ، فاذهب الان وكن سيداً في بيتك ودبر خيراتك . فقلت له — ولكني يا سيدي قد اكلت خبزك وفي بيتك ربيت . فلست لاتركك حتى الممات وسأظل في كنفك ابناً لك حتى يعود سرحت .

فتحركت عواطف سرحت لهذه الكلمات . فعانق ميستو وقبله في جبهته وقال له — ستظل اخاً لي يا ميستو حتى الممات ولن افارقك البتة . انما قل لي هل من خطر عَلَى اختيّ وأخي في خبائك .

فاجابه الكردي الشاب بلهجة الفخر والتأكيد

— لو اتى الشيخ جلال الدين نفسه وكل لصوص عصاباته لما تجاسروا عَلَى ان يدخلوا خباء ميستو . وانت تعلم حق العلم عادات اليزيديين . فكل من دخل جوارهم اصبح ضيفاً عزيزاً آمناً مهما يكون دينه واصله . وانهم

ليهرقون دماءهم في سبيله دون ان يسلموه الى اعدائه ...

وبينا ميستو يتكلم اذا به سكت وانصت باهتمام الى صوت لم يتميزه . ثم قال لسرحت

— أتسمع اصواتاً ؟

وكان سرحت غارقاً في هواجسه فلم يسمع شيئاً مما كان يجري حوله فقال متعجباً

— اية اصوات ؟

— غناء واهازيج ... كذا يغني الاكراد وهم عائدون بالاسرى والغنائم .

فقال سرحت — هيا بنا نذهب اذن

— هيا بنا

وسارا يقصدان تلك الجهة التي صدرت الاصوات منها .

٦

وعقيب نصف ساعة وصلا الى قمة الجبل وطفقا ينظران الى المضيق في الاسفل حيث كانت تسير قافلة كبيرة . فلم يتمالكا من ان يظنا بها شراً رغم بعدها عن عيونهما وتعذر تمييزها من الاعلى .

فقال ميستو وقد اشار الى شعب خفي في الجبل لا يستطيع التوصل اليه سوى صيادي الوحوش .

— اذا ذهبنا في تلك الطريق الجبلية نصادفهم وجهاً لوجه . فقال له سرحت متحذراً

— ولكني لا اريد ان يشعروا بنا

— لن يشعروا بنا . ولو كان لهم الوف من الاعين لما تمكنوا من روءيتنا. انا اعرف هذه الجبال كما اعرف اصابعي الخمس . فلنذهب

ثم قاد ميستو رفيقه في طريق عسيرة تتشبث باطراف الصخور الشاهقة . عَلَى انها رغم صعوبة اجتيازها كانت اقرب الطرق الى المضيق . وبعد قليل من الزمن ادركا القافلة وسارا في اثرها مختبئين بين الاشجار والانجم . فتأمل سرحت الحشد السائر امامه فعلم انها فرقة فرسان الاكراد عائدة من غزوتها بالغنائم والاسرى فالتفت الى رفيقه وقال

— أتستطيع يا ميستو ان تذهب الى هوءلاء وتختلط بهم وتعلم من اين هم عائدون بالاسرى ، والى اين ذاهبون بهم ، واين يبيتون هذه الليلة ، والى اي القبائل ينتسبون ؟

— استطيع ان افعل كل ما قلته

— وكيف تتمكن من ذلك ؟

— بابسط طريقة . فلا خوف عليَّ من ان يأكلوني . افعل هكذا — اقترب منهم فاحييهم واستعلم عن صحتهم . ثم ينفسح لي المجال ...

— لله درك . اذهب ولا تطل غيابك .

فتوارى ميستو كالخيال . ولبث سرحت يتأثر القافلة مراقباً حركاتها بكل اهتمام . فشاهد ثلة من فرسان الاكراد يسوقون امامهم قافلة موءلفة من ثيران وخيل وعربات مثقلة كلها باحمال من الامتعة والآنية . وفوق هذه الاحمال أسرى من النساء والفتيان والفتيات موثقون فرادى وازواجاً

فوق الامتعة فصاروا واياها حملاً واحداً تسير به الدابة أو العربة سراعاً . وكانت المطايا التي اوثقت عليها الاسرى تخص من عهد غير بعيد اباء اولئك المنكودي الحظ . فاصبح الان رب المطية فوقها سائراً عليها رغم أنفه الى الاسر

ورأى سرحت ان الاكراد قد وضعوا عَلَى اطراف رماحهم روءوساً بشرية قد اقتطعوها من اجسام القتلى ليستحثوا القافلة . تلك روءوس الاباء كانوا يرونها للابناء تهويلاً لئلا يحاولوا النجاة ، وارهاباً ليسيروا ساكتين الى حيث يُراح بهم ...

عند هذا اظلمت الدنيا في عيني سرحت ولم يعد قادراً عَلَى النظر ، واصابه دوار في رأسه فغابت القافلة عن نظره

وخيل له ان العالم أجمع قد تغير ، وجاء المسيح الدجال ، فاستحال الانسان المخلوق عَلَى هيئة الله ومثاله الى وحش مفترس هائج يمتص الدماء ويمزق البشر اخوانه ويأكل لحومهم . وتمنى ان يصير هو نفسه في تلك اللحظة وحشاً من هذه الوحوش . ولا سيما ان له قلباً نارياً وشجاعة كافية لان يكون كذلك . ولكنه أسف كل الاسف لامر واحد هو انه خلوٌ من الرفاق الا القليل .

واندفع سرحت مع تيار افكاره وغاص في تأملاته قائلاً يجادل نفسه

— الحاجة اضطرت الانسان الى ان يرتدي بالثياب هرباً من البرد ، واحوجته الى اختراع السلاح اتقاءً لاذى الوحوش الضارية . فلماذا هذا الانسان نفسه لم يلجأ الى وسيلة تقيه من اذى الوحوش البشرية ؟

فكر سرحت في هذا الامر ملياً ثم ارتأى ان قومه هم الجانون عَلَى انفسهم لانهم لم يفهموا مطاليب الحياة حق الفهم ، ولم يدركوا انهم عائشون عَلَى الارض بين الناس لا في السماء بين الملائكة .

وكان سرحت قد جاب اقطاراً كثيرة ورُأى اقواماً شتى من الناس في سياحاته ، ولكنه لم يشاهد قط بينهم رجلاً صالحاً مستقيماً فاضاع ثقته بالناس وأصبح يظن شراً بكل امرىء . وكان يحسب الناس كلهم لصوصاً عَلَى الاطلاق ولا فرق بينهم ، الا ان بعضهم يتعاطون اللصوصية والسلب بالسلاح والقوة ، والبعض يتعاطونها متسلحين بعقولهم وذكائهم ، والبعض بطريق التجارة ، والاخرون باسم الاحسان الى الانسانية والمدنية

وبينا هو مستغرق في لجة تأملاته اذا بميستو قد عاد من مهمته وبادره بهذه الكلمات

– عرفت كل شيء .

فقال له سرحت

– اجبني عَلَى اسئلتي بالتدريج . كم فارساً في الفرقة ؟

– لا أكثر من خمسين.

– من اي القبائل هم ؟

– من قبيلة خرتوش .

– من اين جاءوا بالسبي والغنائم ؟

– من جهات شطح

– والى اين ذاهبون بهم ؟

– الى صوماي .

– واين يحطون رحالهم الليلة للمبيت ؟

– في وادي خسبيستان قرب خان سورا .

فكف سرحت عن السوءال وشرع يعد عَلَى اصابع يده . ثم التفت الى ميستو وقال له .

– ما رأيك يا ميستو – ترى متى يصلون الى مضيق صقال توتان ؟

ففكر ميستو هنيهة ثم اجاب

– أظنهم يصلون الى هنالك عند غروب الشمس .

فقال سرحت – وانا أرى رأيك .

وسكت قليلاً ثم اضاف بعد قليل

– أرعني سمعك الان يا ميستو وقل لي – متى تستطيع الوصول الى قرية بيجينكرت فيما لو ذهبت الان ؟

– اكون هنالك عند الظهيرة .

– بورك فيك . أتعرف المزار في الوادي قرب القرية ؟

– أجل ، فهنالك مزاران . احدهما متهدم . فايهما تقصد ؟

– أقصد هذا المتهدم .

– أعرفه جيداً . فلقد اختبأت فيه ليلة بكاملها لما سللت فرساً من ذلك الجوار . وانه لمكان خفي عن الانظار .

— أي الاصوات تستطيع ان تقلد من اصوات الحيوان ؟

— أقلد اكثرها . فأحسن النباح وصياح الديك وعواء الذئب والثغاء والمواء وصفير العندليب وغير ذلك .

— كفى كفى . واسمع الان . تذهب من هنا تواً الى ذلك المزار المتهدم حيث اختبأت والفرس المسروقة . قبيل ان تصل الى هنالك ترى أكمة . . .

— أكمة عليها صخر مثقوب .

— هي بعينها . فتقف عند ذلك الصخر وتصفر ثلاثاً كالعندليب . فتجاب بمثله . حينئذٍ غيّر صوتك وانعب مرتين كالبومة فيدنو منك رجل فتقول له ان يكون ورفاقه عَلَى استعداد عند الغروب قرب مضيق صقال توتان

— ولكن قد يسألني الرجل — من أرسلك ؟

— اذكر له اسمي .

— واذا لم يصدقني .

— أره هذا الخاتم .

قال هذا وانتزع من اصبعه خاتماً ودفعه الى ميستو .

— ولكن قد يسألني عن المهمة التي تنتدبهم لها

— حدثه حينئذٍ عما رأيت . وخبره بأمر القافلة . وقل له ان السبي وحراسه سيمرون في مضيق صقال توتان . ولهذا يجب ان نقطع عليهم الطريق ونستخلص السبي والغنيمة .

— فهمت . ولكن كم عدد هوءلاء الرجال الذين تعتمد عليهم في

هذه المهمة ؟

— اثنا عشر .

— ومن هم ؟

— هم رفاقي .

— اثنا عشر يكفون للفتك بخمسين في مضيق صقال توتان . وانا اكون الثالث عشر . ولكن الثلاثة عشر عدد شوءم .

— ليطمئن بالك فانا الرابع عشر . والاربعة عشر عدد يمن .

— واربعة منا يكفون لسد مدخل المضيق فلا يستطيع الشيطان نفسه ان يفلت منه . لله درك يا سيدي فقد انتخبت خير مكان للهجوم . ولكن اين تذهب انت من هنا ؟

— سأقتفي اثر القافلة متخفياً حتى أصل الى المضيق . انما قد أشغل بالي أمر رجلك . فانت جريح . ومن هنا الى قرية بيجنكرت مسافة طويلة

— ليطمئن بالك يا سيدي ، فالجرح لا يعيقني عن المسير . فقد اخترقت الرصاصة الملعونة اللحم ولم توءذِ العظم . وقد وضعت عَلَى الجرح مرهماً وضمدته

— متى جُرحت ؟

— منذ ثلاثة ايام . وكم مرَّ عَلَى رأس ميستو من جراح كهذه فلم يبالِ بها .

— سر اذن .

وفارق كلٌّ صاحبه . فسار ميستو يقصد المزار المتهدم . وراح سرحت

يتأثر القافلة ·

٧

لا بدَّ للقارىء بعد ان تعرف بسرحت ان يتساءل -- من هم رفاقه ؟

هم افراد من بني جنسه انضموا اليه في اماكن واوقات شتى · بعضهم من ساسون ، وبعض آخر من زيتون ، والبعض من ديار بكر ، ومنهم كاهن من خربوط ومعلم مدرسة من جهات وان كان في الاصل عضواً لاحدى الجمعيات الخيرية في الاستانة فارسل الى تلك النواحي لينشر نور التعليم والتمدن بين الشعب ، ولكنه أرغم عَلَى مغادرة مهنته الشريفة عَلَى اثر الاضطرابات التي حدثت ابان الحرب الروسية التركية فانضم الى العصابة بعد ان اهانته فرقة من الاكراد وضربته ضرباً مبرحاً عَلَى اعين تلاميذه ·

تألفت هذه العصابة عَلَى شاكلة عصابات الاكراد · وكانت تكتم اصلها الارمني خشية عَلَى الارمن من نقمة الاكراد الذين كانت العصابة لا تألو جهداً في ازعاجهم ·

وكان سرحت وعصابته عَلَى مقربة من ديار بكر حين شاع أمر تألب الاكراد للفتك بالارمن بقيادة جلال الدين · فهبَّ عَلَى الفور ورفاقه قاصداً « أحبك » ليسعف مواطنيه · وقد حدا به الى ذلك غير ما ذكرناه داعٍ دفعه الى الاسراع لانقاذ تلك التي كرَّس لها نفسه وحياته ·

ولما اصبح عَلَى مقربة من أحبك فارق رفاقه بعد انْ أوصاهم ببذل الجهد في اسعاف مواطنيهم وراح يقصد مدينة وان ليخبر الوالي بالخطر المهدد ويطلب

منه رخصة بتأليف عصابات من الاهالي لتحمي الشعب من هجمات المشاغبين · فلم ينل سوى الرفض · وكان جواب الوالي ان الحكومة تستطيع حماية شعبها وحفظ الامن في بلادها · فادرك المقصود من هذا وغادر وان · وهنا عرفناه بالقراء وقد ثار ثائره لخيبته في انقاذ وطنه · عَلَى انه لم يقطع كل الامل اذ ذاك · فلما وصل الى أحبك حاول مرة اخرى ان يفعل ما في وسعه لبلوغ أربه · فتوسل الى الكهنة والمشائخ ووجهاء القوم ان يسلحوا الشعب استعداداً لكل طارىء مدافعةً عن كيانهم · وضرب لهم مثلاً سريان جلامريك الذين لا يسيرون الا شاكي السلاح ولا يجسر الاكراد عَلَى مسهم بسوء [illegible] تستطيع الحكومة ان تنزع عنهم السلاح لانهم كانوا يقولون -- ان ك[illegible]لا الحكومة لا تستطيع حمايتنا فنحن نحمي انفسنا · ولكن اقوال [illegible]انت الحماسية ذهبت ادراج الرياح وعدَّه القوم مغالياً قد مسَّ بح[illegible] سرحت الفشل الى اليأس من قومه والجذم . انهم هم الذين [illegible]به · فاوصله [illegible]يضربون الهلاك الى نفوسهم بعبوديتهم وذلهم ·

ولم يكن يعرف شيئاً عن رفاقه منذ فارقهم [illegible] لقائهم عند المزار المتهدم · وكان سرحت ذاهباً [illegible] وكان هذا النهار موعد القافلة حمله عَلَى البعث بميستو رسولاً من قبله [illegible] للقائهم لولا ان عثوره عَلَى

اوصل ميستو الرسالة · وفي الساعة المعينة ا[illegible]تقى سرحت برفاقه قرب المضيق فحيَّاهم وعانقهم فرداً فرداً وقال لهم

-- انا مسرور لمشاهدتكم اقوياء اصحاء الجسم [illegible] ولكني موقن ان نفوسكم

مثخنة بالجراح مملوءة مرارةً وحزناً لما شاهدتموه في طريقكم من البيوت المتهدمة والدماء البريئة المهرقة . اليوم يومكم يا اخواني . اليوم تستطيعون ان تبرهنوا عن بسالتكم . فقد دعوتكم لتقوموا ببعض الواجب عليكم . نحن اربعة عشر وعلينا ان نقاتل خمسين او اكثر من اكراد خرتوش الضارين

فقال الكاهن -- وهو الملقب في العصابة بدالي بابا اي الكاهن المجنون

-- لقد خبرنا ميستو بكل ما رأيتماه . ولسوف ابارك بهذا الصليب (واشار الى سيفه) هامات الاكراد لتنال الراحة الابدية .

وقال المعلم متحمساً -- وقد أصبح يُعرف في العصابة بلقب « كتاب داليس » أي المختل عقله بالعلوم .

-- يا لها من سانحة لا مثيل لها . سنفتك في هذا المضيق بالاكراد أي فتك .

فقال آرو الساسوني الملقب « بساسون آيس » اي الدب الساسوني

-- أجل سهل علينا الفتك بهؤلاء الخرتوشيين في هذا المضيق . ولو كنا في غير هذا المكان لتعذر علينا مقابلتهم وجهاً لوجه . فهؤلاء الملاعين لا يحجمون عن زج أنفسهم في النار .

فقاطعهم نسو الزيتوني الملقب بصخرة زيتون قائلاً

-- لا تضيعوا الوقت سدى بالاحاديث الفارغة

فقال سرحت -- أصبت فالوقت ثمين . فهلموا نفكر بالعمل . كلكم تعلمون ان اكراد خرتوش معروفون بالبسالة فلا تحسبوا الفتك بهم من

قبيل الالعاب الصبيانية ؛ أجل ان المكان مناسب والبغتة تساعدنا وهذا ما حدا بي الى اختيار هذا المضيق للمهاجمة . فليختبئ كلٌّ منكم خلف صخرة حتى تدخل القافلة كلها المضيق . حينئذٍ تنقسمون فرقتين فيقف سبعة منكم عند المدخل وسبعة عند المخرج . وعلامة الهجوم ان تسمعوني ان اصيح صياح الصقر . اقتصدوا في أهراق الدماء ما أمكن واهتفوا هتافكم بلهجة قبائل راقندا -- والراقنديون اعداء الالداء للخرتوشيين -- فيتوهم هؤلاء انكم من القبائل المعادية وتخفى عليهم حقيقة امركم . ومتى اذعنوا ورضيوا بالتسليم فدعوني اخابرهم وحدي بالشروط . واجتهدوا في ان تغيروا اماكنكم سراعاً عند العراك ليتوهموا إنا كثار العدد . واذا حاول احدهم الهرب فامسكوه لئلا يفشي سر المعركة ويعود بنجدة .

فقال توتان مضيق من المضائق الرهيبة الكثيرة في بلاد الارمن . وهو وادٍ ضيق محصور بين جبلين صخريين قد قاما الى جانبيه يناطحان السحاب كحائطين شاهقين لا سبيل الا تسلقهما ولا مكان للمرور فيه سوى طريق ضيقة لا يستطيع المسافرون سلوكها الا فرداً فرداً

ولما اقتربت العصابة كانت القافلة قد دخلت المضيق وانسابت فيه قاصدة المخرج وحركاتها بطيئة لما اصابها من النصب في السير . وكانت خطة سرحت ان يهاجم الاكراد بعد غروب الشمس . وكانت الليلة مقمرة فأخذ سرحت ستة من رفاقه واحتلَّ المخرج وذهب الباقون بقيادة دالي بابا وضبطوا المدخل . فاصبحت القافلة مسجونة في المضيق لا تستطيع الخروج . واخترق

السكون بغتة صراخ الصقر فدوت طلقات البنادق من جانبي الوادي وعلا ضجيج مريع في المضيق وهجم الاكراد كالوحوش الكاسرة الى الجهات يطلبون منفذاً وقد بوغتوا فواجهتهم قذائف البنادق اينما مالوا . فاشبهوا اسداً قد حصروا في قفص . والكردي متى هاج يلتهم النار ويزحزح الجبال . فشرعوا يتسلقون الصخور كالنمور المائجة غير مبالين واخذوا يمزقونها باظافرهم ويقتحمون الشواهق رغبة في التوصل الى اعدائهم المنزلين بهم الهلاك من علٍ . ولكن الطبيعة ظلت منتصرة فهوى الاكراد من علو شاهق الى الوادي في الاسفل .

اختلط صراخ الاكراد الوحشي ببكاء الاسرى وعويلهم وبدوي الرصاص وسقوط الصخور فتألفت من هذا كله ضجة رهيبة . وظل القتال محتدماً بين الفريقين بلا رحمة او كلل وقد عزم الاكراد على ان لا يسلموا حتى الموت . فدوى صراخ الصقر للمرة الثالثة وهو علامة للعصابة على ان لا يرحموا احداً . فتساقط الرصاص على الاكراد كالمطر المنهمر .

وقد ساعدت الليلة القمراء العصابة على الفتك بالاكراد فكان افرادها لا يخطئون المرمى ولا يصيبون احداً من الاسرى .

وبعد قتال عنيف دام ساعة تصاعد من الاكراد صوت يقول — نسلم . فوقف سرحت فوق صخرة وقال يخاطبهم من الاعلى .

— كان يجدر بكم ان تسلموا قبل الان ليبقى اكثركم احياء . وقد كان عنادكم سبباً لهلاك رفاقكم . فلا تكبروا المصيبة فهذا نصيب الشجعان .

الفنون

نجيب هواويني

تشرين الثاني

الجزء الرابع

السنة الثالثة

AL-FUNOON

AN ARABIC REVIEW OF LITERATURE AND ARTS

Published Monthly by

Al-Funoon Publishing Co.

72 Trinity Place

New York

ANNUAL SUBSCRIPTION $5.00

OCTOBER 1917

VOL. III NO. 3

"Entered as second class - matter June 16, 1916, at the Post Office at New York, New York, under the act of March 3, 1879"

الفنون

مجلة ادبية تصدر مرة في كل شهر



رئيس تحريرها
نسيب عريضه

مدير اشغالها
راغب متراج

قيمة الاشتراك = خمسة ريالات اميركية لسنة .
وثلاثة ريالات عن نصف سنة . والدفع سلفاً

AL-FUNOON
72 TRINITY PLACE
NEW YORK

الجزء الرابع   تشرين الثاني ١٩١٧   السنة الثالثة

— المشتركون خارج الولايات المتحدة —

لهذه المجلة انصار كثار في الجوالي البعيدة وعددهم في ازدياد كل يوم. الا ان اكثرهم لم يسددوا بدلات اشتراكهم حتى الآن لتعذر ايصالها الى الادارة رأساً من جهات قصية في بلاد مختلفة . ولهذا قد عينت ادارة الفنون وكلاء لها في الجهات لينوبوا عنها بقبض الاشتراكات وما يتعلق بها من شؤون المجلة وهذه اسماؤهم

الوكيل العام في البرازيل — ميخائيل ناصيف فرح

MIGUEL N. FARAH
Rua 25 de Marco No. 237-Sob.   Caixa Postal 1393
S. PAULO - BRAZIL

في مناوس البرازيل وجوارها — يوسف [illegible]

JOSEPH HADDAD EL-HOMSY
[illegible] of Joseph [illegible] & Irmao,   Caixa Postal 475
Rua [illegible] Junior, 6   MANAOS, BRAZIL

في المكسيك — يوسف [illegible]

JOSEPH DAW
[illegible] 50 No. [illegible]10 Apartado 250   Merida, Yuc., MEXICO

في بوينس آيرس (الارجنتين) والولايات المجاورة — [illegible]

G. ARIDA
[illegible] Sargentos, 415. Buenos Aires,   R. ARGENTINA

في ولايتي توكومان وسانتياغو دل ايسترو (الارجنتين) انطونيوس ناصيف عريضه

A. NASIF ARIDA
A. Roja 164, Santiago del Estro,   R. ARGENTINA

فنرجو من المشتركين في هذه الجهات ان يسارعوا الى تلبية نداء الفنون ويبعثوا بدلات اشتراكها اما الينا رأساً — ان استطاعوا — واما الى الوكلاء ليخففوا عنا شيئاً من عناء الجهاد فنستطيع مداومة خدمتهم في الحين